المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،،

فإن مقام الدعوة في الإسلام عظيم، بل هو أساس من أسس انتشارِه، وركن من أركان قيامه.

فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين، ولا انتشر إسلام، ولولاها لما اهتدى عبد، ولما عَبدَ الله عابد.. ولما دعا الله داع. قال الله تعالي: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٧ فبالدعوة إلى الله تعالى يُعبَد الله وحده، ويهتدي الناس، فيتعلمون أمور دينهم، من توحيد ربهم، وعبادته، وأحكامه من حلال وحرام، ويتعلمون حدود ما أنزل الله.

وبالدعوة إلى الله تعالى تستقيم معاملات الناس، من بيع وشراء، وعقود، ونكاح، وتصلح أحوالهم الاجتماعية والأسرية، وبالدعوة إلى الله تعالى تتحسن أخلاق الناس، وتقل خلافاتهم، وتزول أحقادهم وضغائنهم، ويقل أذى بعضهم لبعض.

وإذا ما قامت الدعوة على وجهها الصحيح، واستجاب الناس لها، تحقق للدعاة وللمدعوين سعادة الدنيا والآخرة. كل ذلك لا يتم إلا بالدعوة إلى الله عز وجل، لذلك كان للدعوة في الإسلام الحُظوة الكبرى،

والقِدْح المعلى، والفضل العظيم، وكانت وظيفة الأنبياء الأولى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ الأحزاب: ٤٥ – ٤٦

فالدعوة إلى الله، شرف عظيم، ومقام رفيع، وإمامة للناس، وهداية للخلق، فضلاً عما ينتظر الداعين في الآخرة من أجر عظيم، ومقام كريم.

ولِما كان للدعوة من أهمية بالغة في دين الله، وأثر كبير في إصلاح البشرية، جعل الله لأصحابها شرفاً عظيماً، ومقاماً رفيعاً، وإمامة للناس في الدنيا ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤

وفضلاً عن هذا كله، جعل الله لصاحبها أجراً عظيما، ومنزلة كبيرة، ومقاماً كريماً في الآخرة.

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فصلت: ٣٣

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله بمعناها العام – على كل مسلم ومسلمة، كل حسب وسعه.

والوسع يشمل:الوسع العلمي، والمالي، والبدني، والقدرة على أداء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ المائدة: ٦٧

فالعلماء ورثة الأنبياء وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن مدلوله يشمل أمته أمة الدعوة وأمة الإجابة فهي إذا توجب الدعوة على كل مسلم ومسلمة، كُلاً في حدود وسعه، لعموم الأدلة المتضافرة في ذلك ويتأكد هذا الوجوب على طائفة من الناس أن تقوم بالدعوة إلى الله في كل مكان وتجمع في المدينة، وفي الحي، وفي القرية، وفي الوزارة، وفي الشركات، وفي المؤسسات، وفي كل تجمع للمسلمين، يجب أن تقوم طائفة بتحمل أعباء الدعوة إلى الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ التوبة: ١٢٢

والدعوة إلى الله لا تقتصر على صورة معينة، بل تتعدد صورها، وتتنوع سبلها وأساليبها حسب تنوع أصناف المدعوين حدة وليونة، ولكل عصر من عصور الدعوة وسائل تناسبه وكذلك فإن للدعوة أحكاما في الداعية والمدعوين والخطاب الدعوي بحيث تراعى هذه الأحكام في كل هذه المجالات، وما يزال القرآن الكريم معيناً يلجأ إليه الدعاة لمعرفة هذه الأحكام، فإن الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه العظيم (القرآن الكريم) على سيد رسله وإمام أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم فيه الهدى والنور، يهدي

للتي هي أقوم من أمور الدنيا والدين، وفيه تبيان لكل شيء.يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨

وقال جل ثناؤه: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩ وإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة، ومن حفظه لدعوة الإسلام أن قيض لها أئمة أعلاما، وجهابذة نقادا, وجعل منهم في كل عصر من يدعو الناس إلى اتباع رشد القرآن الكريم, ويبين للناس ما نزل إليهم من الهدى وسبل الفلاح في الدنيا والآخرة- فمن تبع ذلك أفلح ونجا، ومن أعرض عنه خسر وغوى. فألفت في ذلك كتب ورسائل كثر إرشادا لهذه الأمة لتنال الفلاح وسعادة الدارين.

ولاشك أن هذا الجانب يحتاج إلى تنوع وتجدد البحث والتأليف فيه، حيث إننا في هذه الدنيا لا نسعى إلاّ إلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى راجين إخراج الناس من الظلمات إلى النور، لكن بشرط أن تكون هذه الدعوة على نور وبصيرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

فكرة البحث:-

يرغب الباحث عن طريق هذه الدراسة بإيصال رسالة بيّنة، تتعلق فيما اشتملت عليه هاتين السورتين بموضع الدراسة من معالم دعوية بينة تتمثل في: تربية المؤمنين على الصبر والتحمل من أجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فكما هو معلوم أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى الكثير من التحمل، بل وربما يكون فيها أذى يصيب نفس المؤمن؛ من أجل ذلك كان قيام الليل وبيانه في سورة المزمل، وقد كان في صدر الدعوة إلى الله واجبًا على كافة المسلمين، ثم خفف الله عن عباده وبات سنة من السنن، والداعية إلى الله لابد أن يكون من أهل الليل. ومن طبيعة الإنسان أنه كثير النسيان فجاءت له الآيات في كلتا السورتين لتذكره بالآخرة، وكأنها تقول له إجعل الخاتمة غايتك ولا تنس أنك ستلاقي المولى سبحانه وتعالى، وهذا مما يجعل الهدف واضحًا أمام الداعية. كل ذلك يحاول فيه الباحث أن يبين أثره على الداعية المعاصر لنصل بإذن الله دعاة إلى الله مخلصين يعلمون غايتهم ويعملون من أجلها.

أسباب اختيار الموضوع:-

فموضوع الدعوة إلى الله وشروطها وأحكامها من أهم الموضوعات التي ينبغي دراستها وبيان منهج القرآن الكريم في معالجتها ودراستها خاصة في عصرنا هذا الذي ظهر فيه الفساد في البر والبحر, وكثر فيه دعاة الضلالة والشقاء هذا هو الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع، وللمشاركة في بيان هدي القرآن الكريم فيه ليكون عنوانا لبحثي هذا (الدعوة وعلاقتها بمعالم الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثّر)

سائلا المولى عز وجل التوفيق والسداد في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تساؤلات البحث:-

انطلاقا مما سبق, تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التي تدور حول موضوع البحث, وهي كالتالي:-

1- ما المنهج الذي سار عليه القرآن الكريم في بيان أحكام الدعوة إلى الله؟

2- كيف فهم المفسرون آيات الدعوة الواردة في مطلع سورتي المزمل والمدثر قديما وحديثا, وما منهجهم في بيان المعنى المراد بها؟

3- ما حقيقة الدعوة، وما هي العلاقة بين آيات الدعوة في مطلع سورتي المزمل والمدثر؟

4- ما هي وصايا القرآن الدعوية؟ وكيف عالجها القرآن الكريم من خلال مطلع سورتي المزمل والمدثر؟

5- ما هي أثر وصايا القرآن الدعوية على واقع الدعوة المعاصرة؟

إشكالية البحث:-

فالدعوة إلى الله من أعمال الطاعات الواجبة على كل قادر ويتأكد هذا الوجوب عند ظهور المنكرات وتعدد حيل أصحابها وتنوع أساليبهم، وعليه يصبح لزاما على الداعية أن يتتبع الدروس الدعوية في القرآن الكريم لقصد الاستفادة مما تضمنته هذه الدروس من الأساليب النبوية في فن الدعوة إلى الله، فمن طلائع السور القرآنية التي جاءت لترسيخ تلك المبادئ سورة المزمل والمدثر وعلاقتهما بمعالم الوصايا القرآنية واضحةٌ لكل ذي عينين وتزداد وضوحا كلما تتجدد حاجة الناس إلى الدعوة والتخطيط لها. ويتضح غياب تلك المنهجية لدى بعض الدعاة القاصرين الأمر الذي أدى إلى وجود الانفصام بين المسلم وعقيدته عند من لم تبلغه الدعوة الصحيحة السلمية.

ومن مظاهر ذلك، القصور في تبليغ الدعوة لغير المسلمين من جهة ومن جهة أخرى نشاهد من الانحرافات السلوكية والأخلاقية في معظم مجتمعات المسلمين نتيجة البعد عن الهدي النبوي. وعليه فهناك قاسم مشترك بين سورة المزمل والمدثر في علاقتهما بتلك الوصايا الدعوية من جهة التشريع والموضوع والمنهج، وكلها صالحة للتطبيق العملي في كل زمان ومكان، ومن هنا تبرز إشكالية هذا البحث في غاية الأهمية للكشف عن تلك العلاقات بين سورتي المزمل والمدثر وشرح مدى ارتباطهما بمعالم الوصايا القرآنية وضرورة التخطيط للمشروع الدعوي الناجح في العصر الحاضر مع استشراف المستقبل الواعد.

أهمية البحث:-

تأتي أهمية هذا البحث من خلال النقاط الآتية:

1- دراسة منهج القرآن الكريم في عرض هذا الموضوع، وما له من أهمية في حياة المسلمين وقيام دعوتهم، وبالتالي الوصول إلى الاستقرار العالمي.

2- تشجيع العباد على الالتزام بالوصايا القرآنية؛ للوصول بالدعوة إلى الله إلى أهدافها المرسومة لها، وما لذلك من أثر على حياة الناس.

3- خدمة الدعوة الإسلامية في واقعها المعاصر من خلال بيان الوصايا القرآنية التي تساعدهم على الوصول إلى غايتهم المنشودة، والمتمثلة في إقامة الخلافة على منهاج النبوة.

4- ارتباط هذا الموضوع بالقضية المصيرية للأمة الإسلامية، وما له من دور بارز في مسيرة الدعوة إلى الله، كان في ذلك دافعًا قويًا للباحث في اختيار هذا الموضوع.

أهداف البحث:-

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:-

- ✓ دراسة آيات الدعوة في مطلع سورتي المزمل والمدثر، لتوضيح معنى المراد منها كما فهمها المفسرون، وبيان ما اشتملت عليه مطالع سورتي المزمل والمدثر من أحكام الدعوة, وكيف يمكن توظيف هذه الأحكام في واقع الدعوة المعاصر.
- ✓ إبراز صفات الدعاة كما أوضحتها مطالع سورتي المزمل والمدثر, وكيف يتصف الداعية بهذه الصفات ليكون من الناجحين دعويا، مع تحديد وتشخيص أهمية العلاقة بين الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثر وربطها بالعصر الحاضر، مع تسليط الضوء على أهمية العلاقة بين الدعاة المعاصرين، وأثرها في المدعوين في العصر الحاضر، وأهميتها في دفع أذى أعداء الدعوة المعاصرين.
- ✓ توضيح وتشخيص ما يقوي الداعية علي دعوته لتكون دعوته ناجحة ومثمرة.

منهجية البحث:-

سأسلك في كتابة هذا البحث المنهج الآتي:-

الأول: المنهج الاستقرائي الوصفي، حيث سأقوم بجمع الآيات التي تتحدث عن أحكام الدعوة في مطالع سورتي المزمل والمدثر، والاستدلال ببعض أقوال المفسرين فيها قديماً وحديثاً.

الثاني: المنهج التحليلي حيث أعمل على تحليل العلاقة في الأحكام الدعوية بين مطلع سورتي المزمل والمدثر.

الدراسات السابقة:-

على الرغم من أهمية هذا الموضوع وفائدته فلم أجد أحداً خص معالم الوصايا القرآنية بالبحث والتدقيق على وجه الخصوص حسب علمي واطلاعي، وقد ظهر لي ذلك بعد الرجوع إلى المكتبات المتخصصة وسؤال أهل الخبرة والدخول في الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) ومراجعة الرسائل الجامعية.

غير أني وجدتُ كتباً ذات علاقة بالموضوع وأحكام الدعوة بشكل عام يستفيد منها الباحث في أثناء كتابته لهذا البحث ومن هذه الكتب:-

منهاج الداعية: للمؤلف أحمد أبو زيد من منشورات رابطة العالم الإسلامي حيث احتوى الكتاب على خمسة أبواب، تعرض الكاتب في الباب الأول إلى ثقافة الداعية، وفي الباب الثاني إلى أخلاق الداعية، وفي الباب الثالث لوظيفة الداعية، وفي الباب الرابع للداعية وجمهور الدعوة، وفي الباب الأخير لأساليب الدعوة ووسائلها. حيث أنه تناول موضوع الدعوة بشكل متسلسل وعامٍّ بدون تخصيص وهذا البحث سيخصص الدراسة من خلال الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثر.

منهج الدعوة في واقعنا المعاصر: للمؤلف الأستاذ الدكتور عبد الحميد هنداوي من منشورات دار الآفاق العربية، حيث احتوى الكتاب على أربعة فصول، تعرض الكاتب في الفصل الأول للرصد التاريخي لمنهج الدعوة وتطوره عبر العصور، وفي الفصل الثاني لمعالم المنهج الدعوي ووسائله في القرآن الكريم والسنة النبوية، وفى الفصل الثالث التطور فى مناهج الدعوة ووسائلها فى الواقع المعاصر، وفى الفصل الأخير لكيفية التطوير ومقترحاته فى واقعنا المعاصر. والكتاب من أشمل الكتب التي اطلعت عليها في هذا الموضوع. حيث أنه تناول موضوع الدعوة بشكل متسلسل وعرض

عمومي وعصري، وكان جل اهتمام الكتاب على النظر في مناهج الدعوة وأساليبها في واقعنا المعاصر بيد أنه لم يركز العناية على معالم الوصايا القرآنية بصفة خاصة.

الدعوة في القرآن دراسة تأصيلية: للمؤلف الدكتور حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار من منشورات مركز الدراسات والإعلام دار اشبيليا حيث احتوى الكتاب على ستة فصول، تعرض الكاتب فى الفصل الأول لبيان آيات الدعوة والدروس المستنبطة منها وفى الفصل الثاني آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدروس المستنبطة منها وفى الفصل الثالث آيات النصيحة والدروس المستنبطة منها وفى الفصل الرابع آيات الموعظة والدروس المستنبطة منها وفى الفصل الخامس آياتِ البلاغ والدروس المستنبطة منها وفى الفصل الأخير آيات الإصلاح والدروس المستنبطة منها، حيث اهتم الكتاب باستنباط نصوص الدعوة، مفصلا فيه مواضع استخدام النصوص وكيفية عرض الأدلة وأساليب دعوة الناس على اختلاف مشاربهم وتباين أشكالهم وطبائعهم.

فقه الدعوة والداعية: للمؤلف إبراهيم النعمة من منشورات دار الفرقان حيث احتوى الكتاب على الموضوعات التالية الدعوة إلى الله، زاد الداعية، واجبات الداعية، أساليب الدعوة، الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر، ابتلاء الدعاة، من صفات الداعية، مع الداعية فى منهجه، إرشاد فى كيفية دعوة الناس.فقد تطرق الكاتب لمواضيع حساسة وخاصة فيما يتعلق بمقومات الداعية، وتحدث عن كيفية دعوة الناس. ولكنه لم يتحدث إلا بمقدمات وعموميات دون تفصيل بصفة مستقلة.

بصائر دعوية: للمؤلف الدكتور محمد أبوالفتح البيانوني من منشورات دار السلام حيث احتوى الكتاب على سبعة فصول تعرض الكاتب في الفصل الأول لبصائر فى جانب العقيدة الفصل الثاني بصائر في جانب العبادة وفى الفصل الثالث على بصائر فى جانب أصول الدعوة ومصادرها وفى الفصل الرابع البصائر فى جانب مناهج الدعوة وأساليبها وفى الفصل الخامس بصائر دعوية فى جانب الوسائل الدعوية وفى الفصل السادس بصائر دعوية فى جانب المشكلات والعقبات الدعوية وفى الفصل الأخير لبصائر دعوية متفرقة. تحدث فيه الكاتب عن عناوين مهمة في الدعوة وعن بعض مسمياتها الحديثة,وجاء بأمثلة كثيرة قارن بها بين جانب العقدي والدعوي، وهذا البحث سيولي العناية بجانب الوصايا القرآنية مع استنباط الأحكام والحِكم الدعوية وربطها بالداعي والمجتمع المعاصر.

الدعوة الإسلامية مفهومها وحاجة المجتمعات إليها: للمؤلف محمد خير يوسف من منشورات دار طريق حيث احتوى الكتاب على أربعة مباحث تعرض الكاتب فى المبحث الأول على مفهوم الدعوة الإسلامية، وفى المبحث الثاني تاريخ الدعوة إلى الإسلام، وفى المبحث الثالث من صفات الداعية، وفى المبحث الرابع حاجة المجتمعات إلى الدعوة الإسلامية. تحدث الكاتب عن الأساس الشرعي للعلاقات الدعوية الإسلامية ووجود الدولة الإسلامية وتطبيق الحاكمية، واكتفى بهذا العرض ولم يشمل ملابسات وأوضاع الدعوة والدعاة من خلال هذا الواقع المعاصر وما يواجهه المسلمون في نسبة كبيرة من دول العالم.

فضل الدعوة إلى الله تعالى: للمؤلف أ.د. فضل إلهي من منشورات دار ابن حزم، حيث احتوى الكتاب على ثلاثة وعشرون مطلبا من أهمها الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، الدعوة إلى الله تعالى شعار أتباع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، العالم العامل المعلم مثل أرض طيبة تستفيد وتفيد، اغتباط من أوتي الحكمة وعلمها للناس، من دعاء عباد الرحمن أن يجعلهم الله تعالى للمتقين إماما، فرضية الدعوة إلى الله، القيام بالدعوة من أسباب وصف الأمة

بالخيرية، الدعوة إلى الله تعالى من شروط الفوز وبالفلاح، للداعي مثل أجور من تبعه، استمرار ثواب الداعى بعد موته، حيث تحدث المؤلف عن الدعوة والداعية وصفاته وفرضية الدعوة ولم يبين فهم المفسرين في آيات الدعوة, وهذا ما سأتداركه في هذا البحث.

وهناك أبحاث ومراجع أخرى كثيرة لأمهات الكتب بحثت في هذا الموضوع (الدعوة إلى الله) إلا أنني أرى بأن هذه الدراسات يغلب عليها الشمولية وعدم التخصصية في كثير من الأحيان لذا لا بد لي من بيان وتفصيل (الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثر وعلاقتهما بالدعوة المعاصرة) وتناول الموضوع بشيء من التفصيل والتحليل ومعالجة القضايا المستجدة في الموضوع والخروج بحكم دعوي لها.

هيكل البحث:-

أما هيكل هذا البحث فيتكون من الآتي: المقدمة وتشتمل على:-

1- التعريف بفكرة البحث.

2- حدود البحث.

3- تساؤلات البحث.

4- إشكالية البحث.

5- أهمية البحث.

6- أهداف البحث.

7- منهج البحث.

8- الدراسات السابقة فى الموضوع.

9- هيكل البحث.

التمهيد ويشتمل على النقاط الآتية:-

1- تعريف القرآن لغة واصطلاحا.

2- تعريف الدعوة لغة واصطلاحا.

3- تنوع عبارات المفسرين في تفسير معنى الدعوة.

4- مكانة القرآن الكريم وأهميته في الدعوة إلى الله.

الفصل الأول: وصايا القرآن في أوائل سورة المزمل.

المبحث الأول: قيام الليل تعريفه وفضله وأثره في تقوية الداعي.

المبحث الثاني: ذكر الله تعريفه وفضله وأثره وثمرته علي الداعي.

المبحث الثالث: أثر الصبر في الدعوة إلى الله.

المبحث الرابع: الهجرة إلى الله تعريفها وأقسامها وضوابطها

وأهميتها في الدعوة إلى الله..

الفصل الثاني: وصايا القرآن في أوائل سورة المدثر.

المبحث الأول: النذارة تعريفها وأهميتها وأثرها في الدعوة.

المبحث الثاني: التعريف بتكبير الله وفضله وخصوصيته وأهميته في الدعوة.

المبحث الثالث: المبحث الرابع تطهير الثياب مقصوده وتعريفه.

المبحث الرابع: هجر الرجز تعريفه وأهميته وثوابه.

المبحث الخامس: المن المنهي عنه تعريفه وخطورته وعواقبه.

الفصل الثالث:العلاقة بين الوصايا القرآنية من سورتي المزمل والمدثر.

المبحث الأول: العلاقة الدعوية التشريعية

المبحث الثاني: العلاقة الموضوعية.

المبحث الثالث: العلاقة المنهجية.

الفصل الرابع: نماذج من آثار العلاقة على الدعوة.

المبحث الأول: العهد المكي.

المبحث الثاني: العهد المدني.

المبحث الثالث: من أعداء الدعوة في عهد القرآن المكي والمدني

الفصل الخامس: أهمية العلاقة بين الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثر وربطها بالعصر الحاضر.

المبحث الأول: أهمية العلاقة بين الدعاة المعاصرين.

المبحث الثاني: أهمية العلاقة بين المدعوين في العصر الحاضر.

المبحث الثالث: أهمية العلاقة على أعداء الدعوة في العصر الحاضر.

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد: ويشتمل على النقاط التالية:-

تعريف القرآن لغة واصطلاحا – تعريف الدعوة لغة واصطلاحا- تنوع عبارات المفسرين في تفسير معنى الدعوة ومكانة القرآن وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.

تعريف القرآن لغة واصطلاحا:

القرآن لغة: له معنى القراءة فهو مصدر من قرأ يقرأ قرآنا وقراءة وللعلماء فيه أقوال مفصلة منها "القرآن" (لغةً) مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ، فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾ القيامة: ١٧ – ١٨ أي قراءته. ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه:-

ضحوا بأشمط عنوان السجود به... يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

أي: قراءة [1]

(القرآن) على وزن فعلان كغفران وشكران..، وهو مهموز كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قران) كما في قراءة ابن كثير. وأصله من (القرء) بمعنى الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضمَّ رحمها على ولد.[2]

[1] انظر: محمد عمر حويه، مدير مركز الدراسات القرآنية لمجمع الملك فهد، علوم القرآن ص 5-10
[2] المرجع السابق

وسمى القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض. ولقد أصبح (القرآن) علماً شخصياً على كلام الله تعالى، ومنه قوله تعالى:-

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

الإسراء: ٩. [3]

واصطلاحا: "هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"

كما أورده العلامة جلال الدين السيوطي –رحمه الله – "ذهبوا في معنى القرآن إلى جملة أقوال ذكرها السيوطي في كتابه الإتقان والمختار منها ما نص عليه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وهو: "إن لفظ القرآن المعرف بأل ليس مهموزا ولا مشتقا بل وُضع علما على الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم, فقد قال أهل السنة القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وهو مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة مسموع بالآذان والاشتغال بالقرآن من أفضل العبادات سواء كان بتلاوته أو بتدبر فيه"[4] – قال الله تعالى:-

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فاطر: ٣١ – ٣٢

[3] محمد عمر حويه، مدير مركز الدراسات القرآنية لمجمع الملك فهد، علوم القرآن ص 5-10
[4] انظر الزرقاني، محمد بن عبد العظيم.مناهل العرفان ج 1 ص 20 -24

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ص: ٢٩

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾الزمر: ٢٣

وقد عرفه الشيخ صبحي الصالح رحمه الله بأنه: "هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته" [5]، ثم علق يوسف عبد الله على ذلك بقوله: "وتعريف القرآن على هذا الوجه متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية". [6]

وقد عرفه الإمام الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول بأنه: "هو الكلام المنزل على الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواترًا". [7]

وإن أجمل وأفضل ما قيل في تعريف القرآن الكريم هو ما أورده العلامة الآمدي حيث قال: "القرآن الكريم كتاب الله الخالد وهو كتاب هداية في تربية الإنسان فردًا وجماعات وأجيالًا، والإنسان المؤمن يعيش مع القرآن حياته فهو غذاؤه التربوي المتجدد ليلًا ونهارًا يجد فيه المؤمن صلته بالله سموًّا وأمنًا وعبادةوالإنسان مع هذا السمو القرآني يظل يمشي على الأرض، يستمد منه تربية عملية مستمرة قولًا

[5] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن ص : 21
[6] يوسف عبد الله، العناية بالقرآن الكريم في عهد النبوة ص : 5
[7] محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول ص : 130

وعملًا وعليه فالقرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية ومنهج حياتها ومصدر عزها ومنبع سيادتها وسبب فوزها في الدارين، فهو حبل الله المتين مَن تمسك به نجى ومن حاد عنه هلك وغوى وخسر وضل ضلالا مبينا"[8].

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي ومنه انطلقت دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم – بل وجميع الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام- يقول الله تعالى مذكّرا بهذه النعمة العظيمة قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ النساء: ١٦٣ – ١٦٤

[8] مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد:29 ص 232

تعريف الدعوة لغة:

لكلمة الدعوة في اللغة معان متعددة، كلها تدور حول الطلب، والسؤال والنداء والتجمع، "والدعاء الرَّغْبَةُ إلى الله تعالى دَعا دُعاءً ودَعْوَى وتَدَاعَوْا عليه: تَجَمَّعُوا. ودَعاهُ: أي ساقَهُ والنبي داع إلي الله ويطلق علي المؤَذِّنِ. والداعِيَةُ: صَرِيخُ الخَيْلِ في الحُروبِ".[9]

وهناك آيات قرآنية كثيرة جاء فيها ذكر الدعوة وبيان مقاصدها ومن دلالة الكلمة (الدعوة) أنها تعني المحاولة القولية أو الفعلية لجمع الناس واستمالتهم إلى مذهب أو ملة، وقد تكون الدعوة إلى الحق وقد تكون إلى الباطل.[10]

الدعوة إلى الحق:

و دعوة الحق يقول المولى عز وجل: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ الرعد: ١٤

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ المؤمنون: ٧٣ وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ الكهف: ٥٧

---

[9] محمد يعقوب فيروز آبادي، القاموس المحيط :ج 1 ص 1283، مؤسسة الرسالة ببيروت 1426هـ - 2005م

[10] محمد بن عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ج 1 ص1

وقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ الحديد: ٨

وكما مرت الإشارة إليه فإن لفظ الدعوة في اللغة يتناول مفهومين إما الدعوة إلى الحق ويشمل ذلك الدعوة إلى الله أو إلى سبيله بما فيه الدعوة إلى الجنة دار السلام، كما دلت عليه النصوص القرآنية ومنها قول الله تعالي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: ٢٢١

ومن ذلك قوله جل جلاله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ يونس: ٢٥

الدعوة إلى الله تشمل الدعوة إلى كتابه ودينه يقول الله تعالى على لسانه رسوله الكريم: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ، تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ

عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ ، لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٤١ – ٤٣

وأما الدعوة إلى الباطل:- فيشمل ما سبق ذكره في الآية من الدعوة إلى النار ومن الآيات التي ذكرت هذا النوع من الدعوة قوله تعالى عن الشيطان وأحزابه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فاطر: ٦

وقال تعالى عن دعوة الشيطان لأصحابه: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ القصص: ٤١

المعنى الاصطلاحي لكلمة الدعوة:-

أما الدعوة في الاصطلاح، فقد تعددت العبارات في تعريفها، وكانت على النحو التالي:

- "هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربّه كأنه يراه"[11].
- "قيام المسلم ذي الأهلية في العلم والدين بتبصير الناس بأمور دينهم وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع على قدر الطاقة ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل".[12]

[11] . أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموعة الفتاوى ج 15 ص 92

- "تعريف الناس بربهم بأسمائه وصفاته وكيفية الوصول إليه -سبحانه- ومالهم وما عليهم إذا رجعوا إليه. أو هي حداء بالناس لمعرفة الله والإيمان به وتوحيده ربًا خالقًا ومالكًا وإلهًا معبودًا وحاكمًا فردًا فلا منازع له في ربوبيته ولا شريك له في المحبة ولا مضاد له في حاكميته وإتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- وطاعته في كل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.[13] فالدعوة برنامج كامل يضمّ في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريف التي تجمعهم راشدين"[14]

أما المفسرون فقد تنوعت عباراتهم في تفسير معنى الدعوة:-

لقد تنوعت عبارات المفسرين في بيان مفهوم معنى الدعوة عند تناولهم لكثير من الآيات القرآنية والتي جاءت في التأكيد على هذا المبدأ الرباني، وسيذكر الباحث جملةً من هذه الأقوال ومنها:-

- يقول أبو جعفر الطبري في شرح معنى الآية الكريمة: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨ يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قل، يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها

---

[12] محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ص 1
[13] محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ص 1
[14] حمد ناصر العمارة، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة : العراق: دار أشبيلية، ط 3 1418هـ 1998 ص 25

من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته (سبيلي) وطريقتي ودعوتي أدعو إلى الله وحده لا شريك له (على بصيرة)

بذلك، ويقينٍ... أنا ومن اتبعني وصدقني وآمن بي (وسبحان الله) يقول له تعالى ذكره: وقل، تنزيهًا لله، وتعظيمًا له مِن أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه: (وما أنا من المشركين) يقول: وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منّي."[15]

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ الرعد: ١٤

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره:لله من خلقه الدعوة الحق، و"الدعوة" هي "الحق" كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله: (ولَدَارُ الآخِرَةِ) وقد بينا ذلك فيما مضى.وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادةَ أن لا إله إلا الله, هنا تناول العلامة ابن جرير الطبري الآيات الكريمات من حيث مدلولاتها ومقاصدها، وأن الدعوة تعني الدعوة إلى التوحيد وما يتضمنه من إخلاص العبودية لله وعبادته وحده لا شريك له مع اعتقاد وحدانيته في ذاته، وأسمائه وصفاته وأفعاله[16]

وأما ابن كثير فقد قال في تناوله لشرح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ رَبَّنَآ

[15] محمد بن جرير الطبري.جامع البيان في تأويل القرآن : ج 16 ص 291
[16] محمد بن جرير الطبري.جامع البيان في تأويل القرآن : ج 16 ص297

ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ٥٢ – ٥٤ يقول تعالى:{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى} أي: استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال:{ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} قال مجاهد :أي من يَتبعني إلى الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقربُ.

والظاهر أنه أراد مَن أنصاري في الدعوة إلى الله؟ كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج، قبل أن يهاجر:"مَنْ رَجُل يُؤْوِيني عَلى [أن] أبلغ كلامَ رَبِّي، فإنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُوني أنْ أُبَلِّغَ...."[17]

فإذن حقيقة الدعوة إلى الله هي طلب الداعي أن يمتثل الناس ما أمر الله جل وعلا به، أو أن يصدقوا ويؤمنوا ما أخبر الله جل وعلا به، فهذه هي حقيقة الدعوة، ولهذا نرى أنَّ الدعوة تكون في جميع أمور الدين ليست الدعوة في باب دون باب، وهذا يتَّضح من الأمر العام الذي في النصوص"[18]

والفضل العام الذي جاء في الدعوة إلى الله جل وعلا، قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨

وقال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ الأحزاب: ٤٦

[17] ابن كثير، إسماعيل ابن كثير.تفسير القرآن العظيم ج 2 ص 45
[18] ا لشيخ صالح. الدعوة إلى الله فضلها وثمرتها ص 5

وقال جل وعلاه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد: ٧

وقال جل وعلاه: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ غافر: ٤١

وقال عليه الصلاة والسلام لعلي «أنفذ على رسلك وادعهم إلى الإسلام فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» وهذا وغيره يدل على أن الدعوة إلى الله معناها الدعوة إلى عموم الدين.

- يقول وهبة بن مصطفى الزحيلي في شرح كلمة الدعوة وبيان مدلولها عند تفسيره للآيات الكريمات ومهد كلامه بذكر مناسبة الآية.

المناسبة:

"بعد أن أمر اللّه تعالى محمدا صلّى اللّه عليه وسلّم بإتباع إبراهيم عليه السلام، بيّن الشيء الذي أمره بمتابعته، وهو دعوة الناس إلى الدين بأحد طرق ثلاث: وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن.

والدعوة إلى دين اللّه وشرعه تكون بتلطف، وهو أن يُسمع المدعو الحكمة: وهو الكلام الصواب القريب، الواقع من النفس أجمل موقع.

فالآية متصلة بما قبلها اتصالا حسنا، لتدرج الآيات من الذي يدعى ويوعظ، إلى الذي يجادل، إلى الذي يجازى على فعله" [19]

[19] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج ج: 14 ص 269-272

وواصل الشيخ بيانه قائلا "ثم أمر اللّه تعالى برعاية العدل والإنصاف، وجعل القصاص بالمثل، ثم صرح تعالى بالأمر بالصبر على المشاق والمصائب، والصبر بتوفيق اللّه ومعونته، هو مفتاح الفرج,

التفسير والبيان:

الدعوة إلى دين اللّه وتوحيده أو الإعلام بها أمر ضروري للعلم بها، لذا كانت هي المهمة الأساسية للرسل عليهم السلام، فأمر اللّه رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم أن يدعو الناس إلى اللّه بالحكمة قائلا: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ..أي ادع أيها الرسول الناس إلى شريعة ربك، وهي الإسلام بالحكمة، أي بالقول المحكم، والموعظة الحسنة، أي بالعبر والزواجر التي تؤثر بها في قلوبهم، ذكّرهم بها ليحذروا بأس اللّه تعالى.[20]

- وأما محمد الطاهر بن عاشور فقد تناول مدلول آية النحل حيث يقول الله تعالى" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"فقال ما نصه"عطف على جملة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾النحل: ١٢٥ أي إن كان المقام مقام الدعوة فلتكن دعوتك إياهم كما وصفنا، وإن كنتم أيها المؤمنون معاقبين المشركين على ما نالكم من أذاهم فعاقبوهم بالعدل لا بتجاوز حد ما لقيتم منهم, فهذه الآية متصلة بما قبلها أتم اتصال، وحسبك وجود العاطف فيها، وهذا تدرج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم. وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام, وفي

[20] وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج ج: 14 ص 269-272

هذا الصدد يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور"يتنزل معنى هذه الآية منزلة البيان لقوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ النحل: ١٢٣ فإن المراد بما أوحي إليه من إتباع ملة إبراهيم هو دين الإسلام، ودين الإسلام مبني على قواعد الحنيفية، فلا جرم كان الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته الناس إلى الإسلام داعيا إلى إتباع ملة إبراهيم, ومخاطبة الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر في حين أنه داع إلى الإسلام وموافق لأصول ملة إبراهيم دليل على أن صيغة الأمر مستعملة في طلب الدوام على الدعوة الإسلامية مع ما انضم إلى ذلك من الهداية إلى طرائق الدعوة إلى الدين.فتضمنت هذه الآية تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم على الدعوة وأن لا يؤيسه قول المشركين له."[21]

وقد كان المشركون يجادلون النبي- صلى الله عليه وسلم— في أمور كثيرة أوردها القرآن الكريم في جملة من الآيات منها قول الله عز من قائل: ﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ، وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ، أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ

[21] ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 13 ص 261

جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ، قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ الإسراء: ٨٩ – ٩٦

لذا" لم يقل: والمجادلة الحسنة، بل قال:{وَجَادِلْهُمْ} وقال تعالى أيضا: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٦ ويندرج في {الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} رد تكذيبهم بكلام غير صريح في إبطال قولهم من الكلام الموجه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ، ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ الحج: ٦٨ – ٦٩

وقد جاءت مواقف متعددة في السيرة النبوية تبين مجادلة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك:

- دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد قال على ملة إبراهيم ودينه قالا فإن إبراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلم إلى التوراة فهي بيننا

وبينكم فأبيا عليه[22] فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ آل عمران: ٢٣

- وجاء في السيرة الحلبية: "كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه صلى الله عليه وسلم عن رجل زنى بامرأة بعد إحصانه أي كان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول لله صلى الله عليه وسلم أي قالوا لهم إن هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فسألوه فأجابهم بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم انشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجدون في التوراة على من زنى بعد إحصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبدالله بن سلام كذبتم فإن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فإذا آية الرجم"[23]

والآية تقتضي أن القرآن مشتمل على هذه الطرق الثلاثة من أساليب الدعوة – معاملة الذين يدعون ويوعظون إلى معاملة الذين يجادلون ثم إلى معاملة الذين يجازون على أفعالهم –، وأن الرسول صلى الله

[22] ابن هشام، السيرة النبوية ج 3 ص 90

[23] علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ج 2 ص 334

عليه وسلم إذا دعا الناس بغير القرآن من خطبه ومواعظه وإرشاده يسلك معهم هذه الطرق الثلاثة. وذلك كله بحسب ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة.[24]

ومن الأمثلة الحية على وسائل الدعوة إلى الله والتي حفل بها القرآن الكريم، ما يلي:

- ما جاء في قوله تعالى من شأن نبي الله يوسف – عليه الصلاة والسلام: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ يوسف: ٣٩ – ٤٠

وتأمل هذا الأسلوب الراقي الذي تعامل به يوسف عليه السلام مع رفقاء السجن في الدعوة إلى الله، فقد ناداهما بأسلوب يرقق قلوبهم، ويحببهم بكلامه، كما خاطبهم بالعقل والحجة، وفي ذلك يقول أبو السعود: "ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال: أأرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كما كل منهم حسبما أراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما أم الله المعبود بالحق".[25]

---

[24] ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 13 ص 261

25 محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج 4 ص 278

- ما جاء في قصة الرجل الذي آمن من آل فرعون, **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ غافر: ٣٨ - ٤١

وقد تمثل مؤمن آل فرعون في هذه الآيات بأروع صور الدعوة إلى الله القائمة على الحجة والبرهان، ومخاطبة العقول بما تقبل بعيدًا عن الشطط، جاء في بيان المعاني ما مفاده: "ولما رأى المؤمن وجوم فرعون وقومه تجاه ما أسمعهم من التحذير والتهديد وضرب المثل فيمن قبلهم قويت شكيته فكر عليهم بالنصح والإرشاد والترغيب فيما عند اللّه تعالى لمن آمن به وصدق رسله، وصرح لهم بإيمانه باللّه وحده والدار الآخرة بما ذكر اللّه عنه وهو «وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ» فيما عرضته عليكم من الهدى ودللتكم عليه من طرق الرشاد المؤدية للخير والسداد «أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ 28» الحقيقي الموصل إلى اللّه لأن الطريق الذي يريدكم فرعون عليه هو طريق الفساد لا الرشاد"[26]

- ومن أبرز الأمثلة الحية على الدعوة إلى الله بصورها المختلفة ما جاء في سورة نوح من أولها إلى آخرها.

26 ملا حويش آل غازي عبد القادر، بيان المعاني ج 3 ص 584

مكانة القرآن الكريم وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى:-

وفي هذه النقطة استعراض جمل وجيزةٍ من أقوال المفسرين في الدعوة يطيب للباحث أن يذكر شيئا من مكانة القرآن الكريم وأهميته العظمى في الدعوة إلى الله عز وجل. وقد سبقت الإشارة إلى أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، وهو دستور الأمة المحمدية.

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع في الأمثال القرآنية "ويكسب الموضوع أهميته من أهمية القرآن الكريم حيث إنه في أمثاله وهي جزء منه كما يكتسب أهمية بالغة من جهة أخرى حيث يتعلق بأشرف العلوم: الإيمان بالله. ويكتسب أهمية من جهة ثانية حيث يبحث عن أصل الإنسان... وغاية المثل القرآني: إصلاح النفوس، وصقل الضمائر، وتهذيب الأخلاق، وتقويم المسالك، وتصحيح العقائد، وتنوير البصائر، والهداية إلى ما فيه خير الفرد وصلاح الجماعة، والتنبيه إلى المساوئ تجتنب وإلى المحاسن لتقبل عليها النفوس الطيبة والقلوب الزكية"[27]

ومن نافلة القول: إن القرآن الكريم هو مصدر الهداية الربانية ومنبع الشرائع السماوية، "يعتبر القرآن الكريم مصدرا معرفيا و تربويا ضروريا من وجهين: أولهما جانب الموضوعات وثانيهما المناهج الموظّفة في بيان حقائقه, يبيّن الأول أن القرآن مصدر اليقين في مسألة نشأة الإنسان الأول ووظيفته

[27] عبد الله ابن عبد الرحمن الجربوع : الأمثال القرآنية القياسية، ج 1 ص 2

الكونية بالإضافة إلى معارف أخرى، كما يعتبر ملفتا لانتباه العقلاء إلى المناهج المعرفية الواجب إتباعها في تحصيل كثير من المعارف". [28]

فالقرآن الكريم له أهمية كبرى في الدعوة إلى الله عز وجل، ففيه آيات كثيرة بيّنت منزلته ومكانته وفضائله وخصائصه، كما اشتملت السنة النبوية على بيان منزلته، ومن الآيات التي بينت مكانته، ما يلي:

" أولا: أنه كلام الله تبارك وتعالى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة: ٦. [29]

ثانيا: أنه هداية للبشرية ونور لها يهديها إلى الطريق الواضح المستقيم في كل مجالاته قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

الإسراء: ٩

ومما يدل على أهميته وفضله في الدعوة الإسلامية أنه اشتمل على بيان كل ما يحتاجه البشر إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩

[28] عبد الكريم عكيوي، رسائل عن النورسية. ج 19 ص 5

[29] الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام، زاد الداعية ص 113

ثالثا: هو فرقان كما سماه الله تعالى يفرّق بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام، يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١

وقوله أيضا: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ الأنعام: ٣٨

رابعا: القرآن اشتمل على بيان أخبار مَن قبلنا ونبأ ما بعدنا وبشارة بالجنة للمؤمنين، ونذارة بالنار للكافرين وهو أصدق الحديث في كل ذلك قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الأنعام: ١١٥

يقول الألوسي في البيان عن سبب نزول سورة الحجر أن السورة نزلت مكية وروي ذلك عن قتادة ومجاهد وفي مجمع البيان عن الحسن أنها مكية إلا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ، لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ الحجر: ٨٧ – ٩٩

يقول الألوسي" والحق أن السورة كلها مكية وسنبيّن عند تفسيرنا للآيات التي قيل بأنها مدنية أن هذا القول ليس له دليل يعتمد عليه. "وعند ما نقرأ هذه السورة الكريمة بتدبر وتأمل نراها في مطلعها تشير إلى سمو مكانة القرآن الكريم، وإلى سوء عاقبة الكافرين الذين عموا وصموا عن دعوة الحق. قال تعالى:

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ الحجر: ١ – ٥

ثم تخبرنا بعد ذلك بأن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه وصيانته من أي تحريف أو تبديل، وبأن المكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم – إنما يكذبونه عن عناد وجحود، لا عن نقص في الأدلة الدالة على صدقه – صلى الله عليه وسلم.[30]

خامسا: القرآن رحمة للعالمين يوقظ القلوب وينبهها من غفلتها ويشفي الصدور من أمراض الشرك والنفاق ويشفي الأبدان من الأمراض والأسقام كما ثبت ذلك لسورة الفاتحة والمعوّذتين وغيرها،

[30] الألوسي، تفسير الوسيط للقرآن الكريم ج 8 ص 7

قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يونس: ٥٧

ولذا فهو الذي يسكن القلوب ويهدئ النفوس قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

سادسا: أنه كثير البركة عظيم المنفعة ينال الإنسان به سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ طه: ١٢٣ – ١٢٧

الخلاصة:

يخلص الباحث مما سبق أن الآيات سالفة الذكر، بينت بوضوح لا لبس فيه أن للقرآن للكريم مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، لا يمكن لبشر أيًا كان أن ينكر فضائله وإعجازه، فهو رحمة ونور وهداية وبشرى للعالمين، كما أنه اشتمل على أنواع الإعجاز قاطبة اللغوية منها والبيانية والعلمية والتاريخية وغيرها،

فالقرآن إذًا كتابٌ كما أخبر المولى سبحانه: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ فصلت: 42. فهو سعادة الدنيا والآخرة، لا تنضب فضائله، ولا تنتهي عجائبه.

الفصل الأول: وصايا القرآن في أوائل سورة المزمّل

المبحث الأول: قيام الليل تعريفه وفضله وأثره في تقوية الداعي:

من حكمة المولى جل وعلا أن جعل قيام الليل في صدر الدعوة واجب من الواجبات التي ينبغي على المؤمنين ألا يتركوها أبدًا، وكان ذلك من أجل أن يتعود الدعاة إلى الله على الصبر والتحمل، فإن قيام الليل لا يقوى عليه إلا من كان وثيق الصلة بالله، صاحب عزيمة وصبر وإخلاص نية، فهو من الأعمال التي تكون بين العبد وربه، على هذه المعاني تربى صحابة رسول الله فكانوا بحق جيلا قرآنيا فريدا، ومن أجل ذلك فإن قيام الليل دأب الصالحين، وزاد المتقين، والتمسك به سبيل لتحمل أعباء الدعوة إلى الله، وفي هذا المبحث يناقش الباحث هذا الموضوع مبينا فيه تعريف قيام الليل وفضائله، وماله من أثر في تقوية الداعي.

يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ المزمل: ١ – ١٠

يقول العلامة أبو جعفر الطبري ما نصه "حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثني عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن عكرمة، في قوله: {يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا}قال: زملت هذا الأمر فقم به.[31]

والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة لأنه قد عقبه بقوله:{قم الليل} فكان ذلك بيانا عن أنه وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه.[32]

وقوله:{قم الليل إلا قليلا} يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: قم الليل يا محمد كله {إلا قليلا} منه.{نصفه} يقول:قم نصف الليل أو انقص من نصفه قليلا {أو زد عليه} خيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم.

تعريف قيام الليل:-

القيام مصدر من قام الرجل قياما: والقومة المرة الواحدة والأصل فيه الواو ثم جعلت الواو ياء لأ، جل الكسرة، والمقام بالفتح موضع القيام ومنه مقام إبراهيم عليه السلام وهو الحجر فيه أثر قدميه. وأما المقام بالضم فموضوع الإقامة كذا في المغرب.[33]

وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تحث المؤمنين على هذه العبادة الفاضلة ابتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث خاطبه الله تعالى في القرآن الكريم يقول الله عز وجل: ﴿ **أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ**

---

[31] أبوجعفر الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن الكريم ج 23 ص 357

[32] المرجع السابق

[33] قاسم بن عبد الله بن أمير. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ج 1 ص 24

لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ الإسراء: ٧٨ – ٧٩ وقوله جل في علاه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ هود: ١١٤ – ١١٥

وقوله جل جلاله: "يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا" وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ المزمل: ٢٠

حكم قيام الليل وفضله:–

وقيام الليل سنة مؤكدة على الأمة الإسلامية وفرض على نبيها محمد– صلى الله عليه وسلم – وقيل:كانت صلاة الليل تطوعا منه وكانت في الابتداء واجبة على الكل، ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة.[34] وقد خص النبي صلى الله عليه بالخطاب في يا أيها المزمل وقال العلماء الآية تشمل النبي صلى الله عليه وسلم وأمته يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ الإسراء: ٧٩

وقوله تعالي: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ الزمر: ٩

وهذه الآية وغيرها من الآيات القرآنية تدل دلالة قاطعة على فضل قيام الليل حيث أمر الله نبيه بذلك وتبعته أمته يقول الله تعالى وهو يمدح المؤمنين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ الذاريات: ١٧ – ١٩

وقد واظب النبي – صلى الله عليه وسلم – على قيام الليل وحث المسلمين وقد ذهب بعض أهل التفسير إلى القول بأن معنى قوله تعالى: "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا" هو قيام الليل هو متصل بما فرض

[34] أبوجعفر ابن جرير الطبري، جامع البيان. ج 10 ص 309

من قيام الليل، أي سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله، لان الليل للمنام، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان، فهو أمر يثقل على العبد.

وقيل: إنا سنوحي إليك القرآن، وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه. قال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده. مجاهد: حلاله وحرامه. الحسن: العمل به. أبو العالية: ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام.[35]

وقد بوب الإمام البخاري باب خاص بعنوان "باب طول السجود في قيام الليل ثم ساق الحديث بسنده" حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية، قبل أن يرفع رأسه ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة "[36]

ثم خص بابا بعنوان: "باب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ" وساق الحديث: "حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – لَيْلَةً فَقَالَ أَلاَ تُصَلِّيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ

[35] القرطبي، تفسير القرطبي ج 19ص 38
[36] البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح. ج 2 ص61

يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهْوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهْوَ يَقُولُ {وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً}[37]

ومن الأحاديث التي تدل على فضل قيام الليل"حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامٌ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وَحَدَّثَنِي مَحْمُودٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ، وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ قَالَ:فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ."[38]

قال الهلب: إنما فسّر الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذه الرؤيا في قيام الليل والله أعلم، من أجل قول الملك الآخر لم ترَع أي لم تعرض عليك لأنك مستحقها إنما ذكّرت بها، ثم نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحوال عبد الله فلم ير شيئا يغفل عنه من الفرائض فيذكّر بالنار وعلم مبيته في المسجد فعبّر بذلك، لأنه منبّه على قيام الليل فيه بالقرآن.ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآى الذي علّمه

[37] البخاري، الجامع الصحيح.ج 2 ص 62
[38] البخاري، الجامع الصحيح. ج 1 ص 61

القرآن ونام عنه بالليل تشدخ رأسه إلى يوم القيامة في رؤياه صلى الله عليه وسلم.[39] وفيه أن قيام الليل ينجي من النار، وهذا من فضائل القيام.

أثر قيام الليل في تقوية الداعي:-

ومما لا شك فيه أن لقيام الليل أثرا واضحا في تقوية الداعي وذلك باعتبار النصوص الواردة في فضله، وقد مر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه آنف الذكر والذي فسّره الرسول صلى الله عليه وسلم بقيام الليل.فقيام الليل سنة مؤكدة، كما هو قول جماهير العلماء من الصحابة والتابعين وهو قول مالك والشافعي وأحمد، والأخبار في ذلك متكاثرة، و ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى وجوبه، وقال غيره واجب على أهل القرآن. والراجح قول الجمهور، أنه سنة على عامة المسلمين [40].

فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو القدوة وقد قام الليل حتى تفطرت قدماه شكرا لربه وأمر الله تعالى الدعاة أن يقتدوا بهدي نبيه صلى الله عليه وسلم. حيث قال تعالي:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾

الأحزاب: ٢١ – ٢٣

[39] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. شرح البخاري ج 5ص118

[40] سليما بن ناصر بن عبد الله العلوان، أحكام قيام الليل ج 1 ص 22

وقد جعلت قرة عين النبي صلى الله في الصلاة وصلى حتى تورمت قدماه فقيل له: أو ليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وسلم "أفلا أكون عبدا شكورا"[41] إن الآثار الواردة في هذا المبحث تبيّن أن شكر الخالق تبارك وتعالى على نعمه الكثيرة وآلائه الجسيمة مأمور به، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ النحل: ١١٤ وقال عز من قائل: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢ والشكر يستلزم المزيد قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ إبراهيم: ٧

وفي الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه و سلم – أنه قام حتى تورّمت قدماه، فقيل له:تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "أفلا أكون عبد ا شكورا؟" [42]

وأمر صلى الله عليه وسلم معاذا بأن يقول دبر كل صلاة"الله أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".[43] ويبدو أثر قيام الليل على الداعية في طلب المزيد من التوفيق والتأييد والتمكين، كما دلت عليه الآية الكريم "لئن شكرتم لأزيدنّكم"

---

[41] البخاري، الجامع الصحيح. ج 4 ص 292

[42] أخرجه البخاري مع الفتح ج 3 ص 14 ومسلم بشرح النووي، ج 6 ص 296-297

[43] أخرجه أبوداود ج 2 ص 86 والنسائي، ج 3 ص 53

وكذلك من التأثير: حسن التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام ومن تمسك بسنة النبي فقد فاز ونجى ومن أعرض عنها فلم يحالفه التوفيق.

ومن التأثير كذلك قيام الليل تعود على الصبر في العبادة، وقد مر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم حتى تورمت قدماه وفي ذلك تعليما لأمته بصفة عامة وللدعاة المحتسبين بصفة خاصة.

ومن التأثير كذلك: الفوز بمرضاة الله حيث أن الله تعالى مدح المؤمنين القائمين في غير ما آية من كتابه العزيز فقال تعالي: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ الذاريات: ١٧ – ١٩

وفي هذه الآيات الكريمات قرن الله تعالى قيام الليل بالاستغفار والإنفاق في سبيل الله ولا تجتمع هذه الفضائل على أحد إلا وقد أوجبت له القبول والتوفيق من الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ،وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٣ – ٢٦

وقد ذكر الله من باب التفضّل ببعض نعمه التي تفضل وأنعم بها على هذه الأمة منها "إنزال القرآن الكريم" وما فيه من الوجبات والتكاليف الشرعية، ثم أمر نبيه بالصبر لحكم ربه وعدم طاعة آثما أو كفورا" والبيان وإن كان موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه يعنى به أمته كذلك. وعليه فالداعية يستفيد

من قيام الليل من الفوائد ما لا يعلم حصرها إلا الله ومنها انشراح الصدر بفعل الطاعة واجتناب المعصية والتقرب إلى الله بأفضل الطاعات الموجب لمحبة الله عز وجل.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى قال: "من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذ نّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته"[44].

ويكفي الدعاة شرفًا أن يكونوا من أحباء الله وخاصته... قال العلامة الشنقيطي رحمه الله "فكل هذه النصوص تدل على ما تضمنته هذه الجملة العظيمة من كون الصلاة مفتاحا للجنة، ولذلك تردد هذه الجملة بين معنيين : –

المعنى الأول: إما أن يقال إنها مفتاح للجنة على الحقيقة.

المعنى الثاني: وإما أن يقال إنها مفتاح لكل خير يتوصل به إلى الجنة، وبذلك تكون جامعة للفضائل، وسببا من أعظم الأسباب التي ينال بها الإنسان خيري الدنيا والآخرة"[45].

وقال عبد المحسن العبادي في التأكيد على تأثير الصلاة في الداعية بعد ما أورد الحديث القدسي السابق قال ما نصه "وهذه أربعة معان تطلق على السنة إطلاق عام يشمل الكتاب والسنة وإطلاق يراد به

[44] ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك : شرح صحيح البخاري ج 10 ص211-212
[45] محمد المختار الشنقيطي.شرح الترمذ ي ج 7 ص 7

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطلاق يراد به ما يعتقد طبقا للسنة خلافا للبدعة، وإطلاقا يراد به المأمور به على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب" [46]

فالإقتداء بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – من أفضل الأعمال يقول ابن رجب الحنبلي بعد أن أورد الحديث "لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف أولياءه الذين تُحرم معاداتهم و تجب موالاتهم، فذكر ما يتقرب به إليه وأصل الولاية:القرب، وأصل العداوة: البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه."[47]

والتقرب إلى الله يكون بالقيام الداعية بالواجبات مما فرض الله عليه، وتارة يكون بالنوافل، وهذا هو السبيل الموصل به إلى مرضاة الله تعالى.

[46] عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود. ج 1 ص 9-10

[47] ابن رجب الحنبلي. جامع العلوم والحكم نسخة محققة. ج 40 ص 8-9

المبحث الثاني:ذكر الله تعريفه وفضله وأثره وثمرته على الداعي:

من الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعية إلى الله أن يكون لسانه رطبًا من ذكر الله، فلا يغفل عن ذكره في ليل أو نهار، قائما أو قاعدا، فنبينا صلى الله عليه وسلم، كان دائم الذكر فقد نقل لنا صحابته رضوان الله عليهم أن كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة أو يزيد، فالداعية إذًا لابد أن يكون دائم الصلة بالله، والذكر مما يقوي هذه الصلة، وفي هذا المبحث يتحدث الباحث عن مفهوم الذكر، ويبين فضائله وأثره على مسيرة الدعوة إلى الله.

تعريف الذكر:–

الذكر لغة: الحفظ للشيء وعدم نسيانه وجري الشيء على اللسان وقال الواحدي: أصل الذكر في اللغة التنبيه على الشيء ومن ذكّرك شيئا فقد نبّهك عليه وإذا ذكّرته فقد نبّهته عليه"[48]

الذكر قول سيق للثناء أو الدعاء ولا سياق في المفرد. وقد نص الإمام النووي في فتاواه على أن المفرد ليس ذكراً وأيضاً هو لا يدل على تنزيه وإجلال ليحصل باستحضار معناه بالقلب ثواب لأن الذكر إن كان باللسان فهو مقابل الصمت والسكوت وإن كان بالقلب ويقال له ذكر بضم الذال فهو مقابل الغفلة أو السكوت الباطني أو القول النفسي وأياً ما كان فهو يتحقق بالمفرد بلا شبهة.[49]

[48] انظر :أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تهذيب اللغة. ج 10 ص 162 تاج العروس: لمحمد بن محمد الزبيدي ج 3 ص 226

[49] انظر : الألوسي، غرائب الإغتراب، بواسطة المكتبة الشاملة.

وفي الشرع:

- "يعني الذكر ما يجري على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وحمده والثناء عليه وقراءة كتابه ودعائه وتنفيذ أوامره والتفكر في آلائه ومخلوقاته.يقول النووي رحمه الله: اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كل من عامل الله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى"[50].

والذكر يأتي في استعمالات القرآن بمعنى الموعظة كما يأتي بمعنى القرآن ومن الآيات التي جاءت بكلمة الذكر في معناه قوله تعالى حكاية عن كلام المنكرين لنبيه صالح عليه الصلاة والسلام: ﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ القمر: ٢٥ ومن الآيات كذلك قوله تعالي: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤

وقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴾ الزخرف: ٥ ومن الآيات التي جاء الذكر بمعنى الموعظة قوله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ ص: ١

ويأتي أحيانا بمعنى العلم كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ النحل: ٤٣

[50] الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام، زاد الداعية ص 258

فمن الأمثلة نلاحظ أن كلمة "الذكر" المختارة للتعبير بها عن القرآن في كثير من نصوص الكتاب العزيز تُعني في لوازمها الفكرية عن جملة كلمات أو عبارات تتضمن المعاني التالية : –

- تبليغ القرآن.
- وجوب تلقيه عن المبلغ.
- وجوب فهمه وتدبره.
- وجوب حفظه.
- وجوب جعله حاضرا في الذاكرة ليرجع إلى نصوصه عند كل مناسبة داعية لمعرفة دين الله وأحكامه."[51]

وذكر الله تعالى حبلاً متيناً يربط المخلوق بخالقه ويجعله يعيش في معيته سبحانه ويقيم النفس على الجادة ويثبتها على الصراط المستقيم [52]

فضل الذكر:–

ومن الآيات الواردة في الأمر بالذكر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ، وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ الأحزاب: ٤١ – ٤٢ وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ٢٠٥

[51] عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ج 1ص 488
[52] المرجع السابق نقلا عن الإمام النووي.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

وقال تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥

قال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ الأحزاب: ٣٥

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ، ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩١

وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ طه: ١٤

ومن الأحاديث التي جاءت في فضل الذكر ما يلي:- عن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير

لكم من إنفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله.قال: ذكر الله عز وجل"[53]

وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين:- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ألا أنبأكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق؟ وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل"[54]

وقال معاذ بن جبل – رضي الله عنه – ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل. [55]

وفي الترمذي أيضا: عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرا، قيل: يارسول الله ومِن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسّر ويختضب دما لكان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة "[56]

---

[53] أخرجه أحمد ج 5 ص 239 وسنده منقطع كما أفاده أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي انظر : خلاصة الفكر عن فوائد الذكر ص : 26

[54] المستدرك على الصحيحين : ج 1 ص673

[55] المستدرك على الصحيحين : ج 4 ص372

[56] الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي ج 11 ص 228 . وهو ضعيف مرفوعا والأصوب وفقه، وقد صوب ابن رجب أنه من قول معاذ رضي الله عنه " في جامع العلوم والحكم " ص 238

وقد أورد البخاري حديثا عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميّت"[57].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إليّ شبرا تقرب إليه ذراعا، وإن تقرب إليه ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة"[58]

والذاكرون هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. وفضائل الذكر كثيرة وافرة وقد أفرد الإمام ابن القيم الجوزية كتابا بعنوان: (مائة فائدة من فوائد للذكر) وأوردها فائدة فائدة، ويلخص الباحث من جملتها ما يلي:-

الذكر جلاء القلوب: وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لكل شيء جلاء وجلاء القلوب ذكر الله عز وجل"[59] يقول ابن القيم "ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما وجلاءه بالذكر، فإنه يجلوه حتى يضعه كالمرآة البيضاء فإذا ترك صدئ، فإذا ذكر جلا، وصدئ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر."[60]

وقد سرد الإمام أكثر من مائة فائدة للذكر ومنها : -

- أن يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

---

[57] الجامع الصحيح على ترقيم فتح الباريح كتاب بدء الوحي : ج 8 ص 107
[58] متفق عليه.
[59] رواه البهقي في شعب الإيمان : ج 1 ص 396
[60] ابن القيم الجوزية، مائة فوائد للذكر ص 32

- أنه يرضي الرحمن عز وجل.
- أنه يزيل الهم والغم في القلب.
- أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.
- أنه يقوي القلب والبدن.
- أنه ينور الوجه والقلب ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.
- أنه يجلب الرزق.
- أنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.[61]
- أنه ينجي من عذاب الله.

أثر الذكر وثمرته على الداعي إلى الله:-

يقول الله تبارك وتعالى: "واذكر اسم ربك وتبتّل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا"

قال ابن الجوزي: "أن الذكر في القرآن على عشرين وجها أحدها: الذكر باللسان ومنه قوله تعالى:

[61] ابن القيم الجوزية، مائة فوائد للذكر ص 32

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ آل عمران: ١٩١

الثاني:الذكر بالقلب ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ آل عمران: ١٣٥

والثالث: بمعنى الخبر: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ الكهف: ٨٣ ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٤

والرابع: بمعنى التوحيد ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ الزخرف: ٣٦

الخامس: بمعنى القرآن ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٢ وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ الأنبياء: 0٥،

وقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ الزخرف: ٥

فانطلاقا من النصوص التي سبق ذكرها وغيرها تدل على أن لذكر الله سبحانه وتعالى أثر على الداعية من جوانب شتى، وملخصها:-

أن الداعي يكون دائما في تجديد إيمانه وتقويتة صلته بربه عز وجل إذ لم يزل لسانه رطبا بذكر الله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢

- ومن التأثير أيضا أن الذكر سبب لرفعة الداعي في الدنيا والآخرة، وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فمرّ بجبل يقال له: جمدان فقال: "سيروا هذا جمدان سبق المفردون" قال: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرين الله كثيرا والذاكرات".[62]

- أنه سبب في جلب رزق الداعية:

فالله تعالى يرزق الداعية أولا بالرضا والقناعة وثانيا بالأموال والأولاد وكل ما تحتاجه الحياة الإنسانية، يقول الله عز وجل على لسانه نبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

[62] مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، باب الحث على ذكر الله تعالى ج 8 ص 63

إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ نوح: ١٠ – ١٨ وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٢

يطمئن قلب الداعي:-

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

- ومن أثر الذكر على الداعية أنه سبب للقبول:-

فالداعية الصادق محبوب عند الله ومحبوب عند الناس وهذا من فوائد الذكر وتأثيره في أعمال العباد وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إذا أحبّ الله عبدا نادى جبريل إن الله يحبّ فلانا، فأحبّه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض"[63].

[63] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي ج 8 ص17

وإنما يحب الله المتقين ويكره العصاة فالله يحمي من يحبه من كل سوء كما حمى أنبياءه وأولياءه، يقول الله تعالى عن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف: ٢٤

وفي الحديث: حدثنا محمد بن يحي حدثنا إسحاق بن محمد الفروي حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمارة ابن غزية عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء"[64] قال أبو عيسى وقتادة ابن النعمان الظفري هو أخو أبي سعيد الخدري لأمه ومحمود بن لبيد قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه وهو غلام صغير. قال الشيخ الألباني حديث صحيح

-من تأثير الذكر على الداعي أنه مبارك ولا يشقى به الجليس:-

وفي الصحيح "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ مَيْمُونٍ حَدَّثَنَا بَهْزٌ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضْلاً يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ-قَالَ- فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِى الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ

[64] الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي ج 4 ص 381 كتاب الحمية.

وَيَسْأَلُونَكَ.قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِى قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِى قَالُوا لاَ أَىْ رَبِّ. قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِى قَالُوا وَيَسْتَجِيرُونَكَ.قَالَ وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِى قَالُوا مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ.قَالَ وَهَلْ رَأَوْا نَارِى قَالُوا لاَ.قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِى قَالُوا وَيَسْتَغْفِرُونَكَ – قَالَ – فَيَقُولُ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا –قَالَ– فَيَقُولُونَ رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».[65]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:– "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"[66]

فذكر الله واستحضار عظمته من أعظم عدة للداعية وهذا نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام عند ما دخل البلاط الفرعوني ورآى ما رآى من أبهة ملك الدنيا استحقره بذكر الله العلي القدير، فقال مبتهلا إلى الله عز وجل ومستعصما به ومستجيرا من جبروت طغاة الأرض: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي

[65] البخاري، الجامع الصحيح ج 8 ص 68
[66] البخاري، الجامع الصحيح ج 8 ص 125 كتاب بدء الوحي

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ طه: ٢٥ – ٣٧

وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يونس: ٨٨ – ٨٩

إذا فتأثير ذكر الله شأنه عظيم على الداعية والمدعو بل والأجيال الحاضرة والقادمة يقول الله تعالى على لسان نوح: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ نوح: ٢٦ – ٢٨

فتأثير ذكر الله أمر واقعي في تاريخ مسيرة الدعوة الإسلامية من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فنبي الله يونس عليه الصلاة والسلام– جاء بسيد الاستغفار، والقرآن الكريم يحكي لنا هذه القصة العظيمة ذات تأثير عميق في نفوس الداعية المخلص

يقول الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨

المبحث الثالث: أثر الصبر في الدعوة إلى الله

يمر الإنسان المسلم في مسيرة حياته بالكثير من الصعاب والمشاكل، التي في كثير من الأحيان ينوء بحملها، ويشعر بنكد الحياة، لكن هذه المتاعب في عين الداعية إلى الله لها بريق آخر، فهو يرى في المحنة منحة يختبر الله بها إيمانه، ومنحة في أن كل أمور المؤمن كله له خير فهي طريقه للصبر الذي جاءت بها البشرى لأصحابه في كتاب الله، ومنحه الله الكثير من الفضائل إن هو صبر واحتسب. والباحث في هذا المبحث يبين أثر الصبر على الدعوة إلى الله، يبين من خلاله أن كل دعوة لابد لها من شدائد ولابد لحامليها من صبر.

الصبر لغة: صَبَرَه عن الشيء يَصْبِرُه صَبْراً حَبَسَه (صبر) الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، الثالث جنس من الحجارة. فالأول الصبر، وهو الحبس. يقال: صبرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها[67]

والصبر في اصطلاح القرآن: الصبر هو حبس النفس على ما تكرهه من ترك المعاصي ومن الصبر على المصائب وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس[68]. ويمكن القول بأن الصبر هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه، ويشمل ذلك أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصابر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها.

---

[67] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء مقاييس اللغة.ج 3 ص 256

[68] سعدي، تفسير السعدي ج 1 ص 162

هذا عن الصبر وأما عن أثره على الداعية فهو أمر ضروري لا بد منه في نجاح الداعية، وقد تكررت هذه اللفظة كلما أمر الله أنبيائه بالصبر فعلى سبيل المثال لا الحصر اذكر هنا مناسبة الآية الكريمة والتي يقول الله تبارك وتعالى فيها: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ، وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ الأعراف: ١٠١ – ١٠٢

يقول وهبة الزحيلي "بعد أن قص الله تعالى على نبيه أخبار قرى الأقوام الخمسة – قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب – وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين، وإعذاره إليهم ببيان الحق بالأدلة على ألسنة رسلهم، أراد الله تسلية نبيه وتثبيته على الصبر على دعوته، وتذكيره بالعبرة من قصص الماضين، وأن ما يلاقيه من قومه ليس جديدا وإنما هو طريق قديم سلكه كثير من أقوام الأنبياء"[69]

فالصبر له أهمية كبيرة لتأثير إيجابي على الداعية كيف لا! وهو من أبرز الأخلاق الوارد ذكرها في القرآن حتى لقد زادت مواضع ذكره فيه عن مائة موضع، وما ذلك إلا لدوران كل الأخلاق عليه وصدورها منه فكلما قلبت خلقا أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر.

[69] التفسير المنير : ج 9 ص 23

فالعفة: (صبر عن شهوة الفرج والعين والنظرة المحرمة. وشرف النفس: صبر عن شهوة البطن. وكتمان السر وهكذا... وقيل:- الصبر هو حبس النفس عما تنازع إليه وسمي رمضان شهر الصبر لذلك، وكل حابس شيئا فقد صبره، ومنه المصبورة التي نهي عنها وهي البهيمة تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل. وقيل: للصابر على المصيبة صابرا، لأنه حبس نفسه عن الجزع وحكى ابن الأنباري عن بعض أهل العلم أنه قال: " سمي صبر النفوس صبرا لأن تمرّره في القلب... كتمرر الصبر في الفم").[70]

وذكر بعض المفسرين أن الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه:-

أحدها: الصبر نفسه وهو حبس النفس ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ آل عمران: ١٧

وقوله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ إبراهيم: ٢١ وقوله تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص: ٤٤

[70] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص 175

والثاني: الصوم ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٥

والثالث: الجرأة:- ومنه قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ البقرة: ١٧٥ أي فما أجرأهم على النار.

ذكره الراغب وحكى الأصمعي أن أعرابيا حلف له رجل كاذب فقال له "ما أصبرك على الله؛ يريد ما أجرأك على الله [71]

ومن الآيات التي أمر الله تعالى فيها عباده بالصبر والمصابرة ونهاهم عن ضدهما قوله جلا في علاه:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ٢٠٠

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تأثيرها في نجاح علمية الدعوة وفلاح الداعية في الدنيا والآخرة. فقال سبحانه معللا "لعلكم تفلحون"

وتأمل قول سيد قطب معلقا على الآية السابقة مبينًا ما للدعوة إلى الله من حاجة ماسة إلى الصبربل والمصابرة فيقول رحمه الله: "والصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة. إنه طريق طويل شاق، حافل بالعقبات والأشواك مفروش بالدماء والأشلاء وبالإيذاء والابتلاء. الصبر على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات النفس ورغائبها، وأطماعها ومطامحها، وضعفها ونقصها، وعجلتها وملالها من قريب! والصبر على

[71] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص 176

شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم، وانحراف طباعهم، وأثرتهم، وغرورهم، والتوائهم، واستعجالهم للثمار! والصبر على تنفج الباطل، ووقاحة الطغيان، وانتفاش الشر، وغلبة الشهوة، وتصعير الغرور والخيلاء! والصبر على قلة الناصر، وضعف المعين، وطول الطريق ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق! والصبر على مرارة الجهاد لهذا كله، وما تثيره في النفس من انفعالات متنوعة. من الألم والغيظ، والحنق، والضيق، وضعف الثقة أحياناً في الخير، وقلة الرجاء أحياناً في الفطرة البشرية؛ والملل والسأم واليأس أحياناً والقنوط! والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار والغلبة، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر، وبدون خيلاء وبدون اندفاع إلى الانتقام، وتجاوز القصاص الحق إلى الاعتداء! والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله، واستسلام لقدره، ورد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع. والصبر على هذا كله – وعلى مثله – مما يصادف السالك في هذا الطريق الطويل.. لا تصوره حقيقة الكلمات. فالكلمات لا تنقل المدلول الحقيقي لهذه المعاناة. إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشقات الطريق؛ وتذوقها انفعالات وتجارب ومرارات! والذين آمنوا كانوا قد ذاقوا جوانب كثيرة من ذلك المدلول الحقيقي. فكانوا أعرف بمذاق هذا النداء. كانوا يعرفون معنى الصبر الذي يطلب الله إليهم أن يزاولوه"[72]

[72] سيد قطب، في ظلال القرآن ج4 ص 551

تأثير الصبر على الداعية في التقوى :-

وللصبر تأثير عظيم على الداعية لأنه مقرون بالتقوى في قول الله تعالى: ﴿ **بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ آل عمران: ١٢٥ وقال عز من قائل: ﴿ **لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ** ﴾ آل عمران: ١٨٦ وقال أيضا: ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ** ﴾ الشورى: ٤٣

ففي الآية الأولى قرن الله تعالى الصبر بالتقوى وفي الثانية بعزم الأمور وكذلك في الثالثة.

تأثير الصبر على الداعية في لزوم الطاعات:

قال المولى عز وجل: ﴿ **قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ** ﴾ الزمر: ١٠

ويقول الله تبارك وتعالى في تقرير هذه الحقيقة: ﴿ **مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾ النحل: ٩٦

يقول وهبة الزحيلي في شرح هذه الآية وبيان تأثيرها على الداعية "هذه الآية ترغيب للرجل والمرأة في أداء الطاعات والفرائض الدينية، فبعد أن رغّب الله تعالى المؤمنين في القسم الأول:- وهو الصبر على مالتزموه من شرائع الإسلام، لقوله: "ولنجزين الذين صبروا" بأن يجزيهم على أحسن أعمالهم التي تشمل المباحات والمندوبات والواجبات، ويثيبهم..."[73]

وهذا هو السر في مقارنة الصبر بفضائل الأعمال بل بأصول العقائد والإيمان ذلك أن الله تبارك وتعالى قرن الصبر بمقامات الإيمان وأركان الإسلام وقيم الإسلام ومثله العليا، فقرنه بالصلاة فقال تعالي:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ البقرة: ١٥٣

وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً في قوله تعالي: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ هود: ١١ وجعله قرين التقوى فقال تعالي: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ يوسف: ٩٠ وقرين الشكر ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ

[73] وهبة الزحيلي، تفسير المنير. ج 14 ص 227- 228

شَكُورٍ ﴾ إبراهيم: ٥ وقرين الحق ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ العصر: ٣ وقرين المرحمة ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ البلد: ١٧ وقرين اليقين ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤ وقرين التوكل﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ العنكبوت: ٥٨ – ٥٩.

والله جعل لكل عمل أجرا محددا إلا أجر الصابر والصائم والعافي، فقال في الصابر: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ الزمر: ١٠ وفي الصائم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم قال:"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"[74] وقال في العافي: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشورى: ٤٠

[74] البخاري، الجامع الصحيح على ترقيم فتح الباري / كتاب بدء الوحي ج 7 ص 211

المبحث الرابع: الهجرة إلى الله تعريفها وأقسامها وضوابطها

قد تضيق بالداعية إلى الله الدنيا على سعتها، لكثرة معاصي أهلها أو لحربهم إياه ومنعه من ممارسة العملية الدعوية، فيهجر بلده لينشر الدعوة في بلد آخر، وقد يكون في مجلس عبارات لا يليق للداعية أن يسمعها أو يقبلها لفظاظتها أو لمخالفتها لشرع الله فيهجر هذا المجلس ويهجر أهله إلى أن يعودوا عن قولهم، وأيًا كان الغرض من الهجرة فإن الداعية مطالب بنشر الدعوة ولم يحدد له بقعة معينة أو أناس بعينهم، فكان عليه أن يقوم بواجبه في أي مكان ومع أي أناس، وفي هذا المبحث يناقش الباحث مفهوم الهجرة إلى الله ويبين أقسامها وفضائلها.

الهجرة لغة: من الهجر وهو ضد الوصل وبابه نصر وهجرانا أيضا والاسم الهجرة والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية والتهاجر التقاطع، والهجر بالفتح أيضا الهذيان... والكلام مهجور وبه فسّر مجاهد وغيره قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ الفرقان: ٣٠ أي باطلا والهجر بالفتح والهاجرة والهجير نصف النهار عند اشتداد الحر، والتهجّر السير في الهاجرة"[75]

[75] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح. ج 1 ص 705

أقسام الهجرة:

و جاء في مفردات القرآن: هجر[76] الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن، أو باللسان، أو القلب. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ النساء: ٣٤

كناية عن عدم قربهن، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ الفرقان: ٣٠

فهذا هجر بالقلب أو باللسان أو بالقلب واللسان. وقوله تعالي: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ المزمل: ١٠ يحتمل الثلاثة، ومدعو إلى أن يتحرى أي الثلاثة إن أمكنه مع تحري المجاملة، وكذا قوله تعالى:

﴿ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم: ٤٦

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ المدثر: ٥ فحث على المفارقة بالوجوه كلها.

وذكر عن الأسيوطي: أن الهجرة ثمانية أقسام الهجرة الأولى: إلى الحبشة، عندما آذى الكفار الصحابة، أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم فيها إلى أرض الحبشة، وأذن لهم مرة ثانية، وهي الثانية، والثالثة من مكة إلى المدينة.

[76] محمد بن نايف، مفردات القرآن : ج1ص 1

الرابعة:- هجرة القبائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم الشرائع، ثم يرجعون إلى قومهم لينذروهم.

الخامسة:- هجرة من أسلم من مكة ليأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

السادسة:- هجرة من كان مقيما بدار كفر ولا يقدر على إظهار الدين، فإنه يجب عليه أن يهاجر إلى بلد الإسلام هذا لفظ الأسيوطي في المنتهي"[77]

وهناك تقسم آخر للهجرة حيث ذكر ابن دقيق العيد بأنها مقسمة إلى أنواع وهي:- (الهجرة الأولى إلى الحبشة– الهجرة الثانية: من مكة إلى المدينة– الهجرة الثالثة: هجرة القبائل _ الهجرة الرابعة: هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم–الهجرة الخامسة: هجر ما نهى الله عنه."[78]

وقد وردت آيات كثيرة في الحث على الهجرة والثناء على المهاجرين ومنها:- قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٨ - ٩

[77] علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن القاسم : الدرر السنية في الكتب النجدية ج 17 ص 449

[78] وزار الأوقاف والشؤون الإسلامية بكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية ج 42 ص178

وقال عز من قائل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ التوبة: ١٠٠

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ الأنفال: ٧٤ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ البقرة: ٢١٨

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ النساء: ١٠٠

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ آل عمران: ١٩٥

وقال تعالى في بيان الذين ظلموا أنفسهم بترك الهجرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧

ومن الأحاديث الواردة في شأن الهجرة ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:- "إنما الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه" [79].

وجاء في حاشية السندي بعد كلام طويل "قصد التقرب بالسيئات يعد قصدا قبيحا ونيته تزيد العمل شرا فهي داخلة في شر النيات لا في خيرها، والمرء يجزى بحسبها عقابا فهي داخلة في الحديث، وإذا تقرر هاتان المقدمتان ترتب عليهما قوله"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله" أي قصدا ونية فهجرته إلى الله ورسوله أي أجرا وثوابا"[80]

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة "لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا "وفي لفظ" لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا." [81]

---

[79] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي ج 1 ص 21

[80] محمد بن عبد الهادي السندي المدني الحنبلي حاشية السندي على صحيح البخاري ج 1 ص7-8

[81] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي باب "لا هجرة بعد الفتح " ج 4 ص92 و ج 4 ص 17

وقال ابن فودي في تأويل هذا الحديث أما تأويل قوله عليه الصلاة والسلام لا هجرة بعد الفتح فقد قال العلماء: أي لا هجرة من مكة بعد الفتح، بعد أن صارت دار الإسلام"[82].

وأما العلامة ابن القيم الجوزية فقسم الهجرة إلى نوعين:

الأولى:- هجرة بالجسم من بلد إلى بلد.

الثانية:- الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله، وهي هجرة تتضمن (مِنْ) و (إلى) فيهاجر بقلبه من محبّة غير الله إلى محبّته، ومن عبودية غيره إلى عبوديّته ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له.[83]

وحكم الهجرة واجبة على القادر ممن لا يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته، ومستحبة في حق من يمكنه من إظهار دينه ولكنه يحب الهجرة لتكثير المسلمين بها، ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم، وأما العاجز فيعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج أجر.[84]

---

[82] عثمان بن فودي، بيان وجوب الهجرة على العباد، ص 17

[83] وزار الأوقاف والشؤون الإسلامية بكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية ج 42 ص177

[84] ابن حجر العسقلاني فتح الباري، ج 6 ص 190

ضوابط الهجرة إلى الله :

وللهجرة ضوابط مستنبطة من تعاليم الإسلام:-

-إخلاص النية فيها.

- أن تكون الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان.

- أن يكون المهاجر من المستضعفين في الأرض.

- القدرة على الهجرة.

"وكانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو."[85]

[85] ابن حجر، فتح الباري ج 6 ص 36

الفصل الثاني: وصايا القرآن في أوائل سورة المدثّر

المبحث الأول: النذارة تعريفها وأهميتها وأثرها في الدعوة.

مهمة أساسسية من مهمات الرسل أن يقوموا بإنذار قومهم من عذاب الله إن خالفوا أمره، وبالبشرى لمن أطاع أوامره، وعمل بمقتضاه، فالأمر دائر بين الترغيب والترهيب، وهذا له أثر بالغ في نفوس المدعوين، فإن كانت كل المغريات لم تجعلهم يعودوا إلى أوامر الله، جاءتهم الموعودات فذكرتهم بالعقاب الذي سيلحق بهم إن هم خالفوا أمر الله، ولقد بيّنت سورة المدثر مفهوم النذارة ومدلولها في سبع آيات في مطلع السورة حيث تقرر الآيات أن الله تعالى بعث رسوله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلي التوحيد والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ، قُمۡ فَأَنذِرۡ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ، وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ، وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ المدثر: ١ – ٧ فإنه (بعثه الله بالنذارة عن الشرك) يحذر منه وينذر مِن وباله في الدنيا والآخرة، لأنه يحبط العمل، وصاحبه مخلد في النار، وبعثه الله (يدعو إلى التوحيد) وإفراده وحده جل وعلا بالعبادة."[86] والسبب في تقديم النذارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد، هو لأن هذا مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله، ولأن الآية (قم فأنذر) تقتضي ذلك، فبدأ بجانب الشرك لكون العبادة لا تصح مع وجود المنافي، فلو وجدت والمنافي لها موجود لم تصح قال سبحانه:

[86] عبد المحسن محمد القاسم. تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول. ج 1 ص 50

{فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها} ولقوله –صلى الله عليه وسلم–: "من قال لا إله إلا الله, وكفر بما يعبد من دون الله, حرم دمه وماله وحسابه على الله عز وجل" رواه مسلم (1).[87]

ثم ثنى بالتوحيد لأنه أوجب الواجبات ولا يرفع عمل إلا به وإذا خالط الشرك العمل أفسده وأحبط العمل قال سبحانه لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥

تعريف النذارة:–

فكلمة النذارة: تحتمل أكثر من ضبط، ومن ذلك النَّذَارة بفتح النون المشددة من الإنذار، والإنذار يأتي في اللغة بمعنى التحذير، يقال أنذر الوالد ولده ألا يعود إلى خطئه، إذا حذره بعد ذلك.[88] والنذارة في اللغة الإعلام بموضع المخافة لتقع به السلامة[89].

أهمية النذارة:–

فللنذارة أهمية كبيرة في الدعوة إذ أنها تتضمن معان عديدة من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل، ففيها التذكير والإنذار والتحذير كما تشمل معنى التهديد في بعض مدلولاتها يقول تعالى لنبيه الكريم مرشدا إياه طريق الدعوة إلى الله ومبينا له نقطة الانطلاق في الوصايا القرآنية الجامعة المعجزة،

[87] مسلم بن حجاج. صحيح مسلم ج 1 ص 50 من حديث أبي مالك عن أبيه –رضي الله عنهم-
[88] متعب بن مسعود الجعيد، مفتاح الوصول شرح ثلاثة الأصول ج 1 ص 133
[89] محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ص 694

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الشعراء: ٢١٤ – ٢٢٠

ومما يدل على هذه الأهمية للنذارة في الدعوة أنها أسلوب جميع الأنبياء والمرسلين، والمتتبع لسيرة الأنبياء يدرك ذلك تماما، فالقرآن الكريم مليء بالنذارة حتى أصبحت ظاهرة قرآنية متمثلة في دعوة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –

أثر النذارة في الدعوة:–

وللنذارة أثر في الداعية والمدعو من حيث أنها تمثل حمزة وصل بين الداعي والمدعو لقد أرسل الله الرسل عليهم السلام مبشرين ومنذرين، وأقام سبحانه للناس أسباب الهداية والحجة والبراهين على خلقه.

ومن تمام حكمته وعدله أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، كما قال تعالى:

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥ وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٦٥ وقال تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ

كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ الملك: ٨ – ٩

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"[90].يقول عبد العزيز بن محمد بن علي نقلا عن ابن حزم ما نصه:– "توضيحا لما سبق ذكره نختار نبذة من مقولات العلماء على النحو الآتي: يقول ابن حزم: "قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩

وقال عز وجل: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ الإسراء: ١٥

فنص تعالى على أن النذارة لا تلزم إلا من بلغته، لا من لم تبلغه، وأنه تعالى لا يعذب أحداً حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل، فصح بذلك أنه من لم يبلغه الإسلام أصلاً فإنه لا عذاب عليه"[91]

وعند الحديث عن الإنذار في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤

---

[90] مسلم بن حجاج :صحيح مسلم، ج 1 ص 135 كتاب الإيمان

[91] عبد العزيز بن محمد بن علي، نواقض الإيمان القولية والفعلية ج 1 ص 59

"لم يكن خاص بذوي القربى بل هو عام يشمل كل المدعوين" وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالي: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ يس: ٦

وقال تعالي: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ الأنعام: ٩٢

وقال عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ٥١

بعض الأمثلة لتأثير النذارة في الدعوة:

وبالمثال يتضح المقال يستعرض الباحث هنا بعض النماذج الحية الرائعة من تأثير النذارة في فن الدعوة إلى الله الواحد الأحد

- "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:-كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ قَالَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ قَالَ وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّلاَةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ قَالَ أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ

قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، أَوْ قَالَ حَدَّكَ".[92] ففي هذا الحديث الشريف تلطف من النبي صلى الله عليه وسلم بالمدعوّ

- كما في حديث عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ وَقَالَ إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاَثًا ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لاَ فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا."[93]

وأما في الحديث الآتي فتبدوا أثر النذارة واضحة صريحة:-

- "عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» وَيَقُولُ «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ

[92] البخاري، الجامع الصحيح، ج 8 ص205
[93] البخاري، الجامع الصحيح ج 6 ص5

كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَىَّ وَعَلَىَّ"[94].

ومثاله في إبداء الغضب وإظهار النذارة حديث معرور الآتي:-

- "عَنِ الْمَعْرُورِ قَالَ لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:- إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ."[95]

وأحيانا يصعّد النبي صلى الله عليه وسلم العبارة وتكون في لهجة صارمة كي يكون تأثيرها فعّالا كما في الحديث الآتي:-

- "عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي قَالَ فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ-اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا."[96]

---

[94] مسلم بن حجاج : صحيح مسلم ج 3 ص 11

[95] البخاري، الجامع الصحيح، ج 1 ص14

[96] أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ج3 ص92

المبحث الثاني: التعريف بتعظيم الله: فضله.. خصوصيته.. وأهميته في الدعوة

تنزه المولى سبحانه عن الشريك أو المثيل، وأمر عباده أن يسجدوا له ويعظموا قدره، ولذا قد تكون كلمة واحدة سببا في دخول النار سنوات طوال، والداعية ينبغي أن يعظم الله جل وعلا في أقواله وأفعاله؛ فهو قدوة للناس، ومحط لأنظارهم، ويرجو من عمله أن يسود حكم الله في الأرض، فكان لابد له من أن يراعي حركاته وسكناته، ولا يتكبر على عباد الله وأن يلين لهم الكلام، وفي هذا المبحث يبين الباحث المقصود بتعظيم الله موضحا فضائله وأهميته في المسيرة الدعوية.

تعريف التكبير وبيان فضله:-

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ المدثر: ٣ - ٧

فالتكبير أمر عظيم وله تأثيره وفضله في الميدان الدعوي، ويعني؛التعظيم أي توحيد الله في العبادة. وذلك بأن الله أمر رسوله صلى الله عليه سلم، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}أي:عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته"[97] ومعنى "وربك فكبر" أي فعظم كبرياءه. وقال الزمخشري:

[97] انظر : عبد الرحمن بن ناصر السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج 1 ص 895

واختص ربك بالتكبير، وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال: اللّه أكبر.[98] ويفهم من هذا السياق بأن التكبير له معان منها: التكبير المعروف باللسان، وهذا من جنس الذكر والأوراد الشرعية وقد جاءت النصوص تحث المسلم على لزوم التسبيح والتكبير والتهليل في المناسبات مختلفة منها عقب الصلوات وفي الأسفار يقول مقاتل في معنى الآية" يعني فعظم، ولا تعظمن كفار مكة في نفسك، فقام من مضجعه ذلك، فقال: الله أكبر كبيراً، فكبرت خديجة، وخرجت وعلمت أنه قد أوحى إليه"[99]

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ آل عمران: ١٩٠ – ١٩٤

[98] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط ج 10 ص 325

[99] أبو الحسن، مقاتل بن سلميان بن يشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل ج 3 ص 413

خصوصية التكبير وأهميته في الدعوة:-

وللتكبير فضل عظيم وخصوصية كبيرة وأثر قويّ ظاهر في استشعار عظمة الله عز وجل، فهي مقدمة عند الأذان والإقامة وفي أثناء الصلاة يقول الله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥

وعند الذبح فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر عند أسفاره:-

وفي الحديث عن علي بن ربيعة رضي الله عنه أنه شهد عليّا رضي الله عنه حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال:- بسم الله، فلما استوى قال الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا، وكبّر ثلاثا ثم قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك، فقيل له ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال:- رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت وقال مثل ما قلت ثم ضحك، فقلنا ما يضحك يا نبي الله؟فقال:-العبد أو قال عجبت للعبد إذا قال لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو"[100].

وفي حديث جابر رضي الله عنهما قال:- "كنا إذا صعدنا كبّرنا وإذا نزلنا سبّحنا"[101]

[100] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر. سنن البيهقي الكبرى، ج 5 ص 249

[101] البخاري مع الفتح ج 6 ص 157

وهناك حديث آخر يدل على فضل التكبير "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ قَالُوا:- يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ قَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا فَقَالَ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ "[102]

[102] البخاري، الجامع الصحيح ج 4 ص 168

المبحث الثالث: تطهير الثياب مقصوده وتعريفه

الطهارة مبدأ أساسي في الدين الإسلامي، حث عليها الإسلام بأشكالها المختلفة؛ الظاهرة منها والباطنة، فهو يطهر ثيابه وبدنه مما قد أصابه من الأجناس والأوساخ، يطهر باطنه مما شابها من الشرك وأمراض القلوب، ليكون متوجها بقلب نقي ونفس زكية وثياب طاهرة وبدن عن الأنجاس خالي؛ متوجها بذلك كله إلى الله سبحانه، مبتغيا ثوابه، راجيا رضوانه، والعتق من نيرانه. وفي هذا المبحث يشير الباحث إلى المقصود من تطهير الثياب وأهميته للداعية إلى الله.

يقول الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ المدثر: ٤ معناه:- طهر بالتوبة من المعاصي، وكانت العرب تقول للرجل:- إذا أذنب أنه دنس الثياب، وإذا توفى، قالوا:- إنه لطاهر الثياب"[103]. وذهب الآخرون إلى أن معنى الثياب هو "النفس" وليس بالثياب الذي يلبسه" وعن الحسن رضي الله عنه قال في معنى الثياب "خلقك فحسن"[104] وقال بعضهم لا تلبس ثيابك على معصية ولا على غدرة[105] قال أبو جعفر:- حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال حدثنا غالب ابن فائد، قال:- حدثنا قاسم ابن معن وموسى الأنصاري، عن الأجلح عن ابن عباس في قوله "وثيابك فطهر" قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة:-

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر *** لبست ولا من غدرة أتقنع

---

[103] مقاتل ابن سليمان، تفسير المقاتل : ج 3 ص 413

[104] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 15 ص 66

[105] انظر : الطبري، جامع البيان في ج 23 ص405

فالطهارة أمر مشروع بالكتاب والسنة وهي شرط من شروط قبول الطاعات سواء كانت طهارة حسية أم معنوية.

فالطهارة المعنوية تشمل معنى إخلاص العبودية لله وحده لا شريك له لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك، وهذا هو لب التوحيد ومضمون دعوة الأنبياء والمرسلين. وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم" المؤمنون: 51، وقال: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم" البقرة: 172، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يار ب يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك"[106]

يقول الله تعالى في تقرير معنى التوحيد وسلامة النية من الشرك ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الزمر: ٦٥

قال القاضي: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزّه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيّب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام، ومباني الأحكام، وقد جمعت منها أربعين حديثا في جزء وفيه:- الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن

[106] مسلم بن حجاج، صحيح مسلم: ج 3 ص85

الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره"[107]

يقول الله تعالى في بيان النجاسة المعنوية للكفار محذرا المؤمنين عن تعاطي أسباب الكفر

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٧٣

قال تعالى في بيان تحريم الخبائث ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ومن الطهارة المعنوية قول الله تعالى مخاطبا أزواج النبي صلى الله على وسلم، ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب: ٣٣

[107] النووي، أبو زكرياء يحي بن الشرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج 3 ص457

ومن الأمثلة في بيان الطهارة الحسية بما فيه تطهير ا لثياب ومحل الصلاة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ المائدة: ٦ فالطهارة تحصل بالماء الطاهر المطهر كما تحصل بالصعيد الطيب يقول الله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ الأنفال: ١١ وقال عز من قائل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ الفرقان: ٤٨ – ٥٢

وفي حديث عائشة رضي الله عنها ما يدل على وجود طهارة الثياب وفيه أنها سألت عن دم الحيض يصيب الثوب فقالت " كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينا شعارنا قد ألقينا فوقه كساءً، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الكساء فلبسه ثم خرج فصلى الغداة ثم جلس، فقال رجل:- يارسول الله هذه لمعة من دم فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يليه فبعث بها إليَّ مصرورةً في يد الغلام فقال: "اغسلي هذه وأجفّيها ثم أرسلي بها إليَّ" فدعوت بقصعتي فغسلتها ثم أجففتها فأحرتها إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف النهار وهي عليه.[108]

وجاء في الحديث عن سفيان قال:- حدثني أبو المقدام ثابت الحداد عن علي بن دينار قال سمعت أم قيس بن محصن أنها:سألت رسول الله عن دم الحيض يصيب الثوب قال حكيه بضلع واغسليه بماء وسدر"[109]. قال الألباني: حديث صحيح.

وقد بوب العلماء في كتب الفقه أبوابًا للطهارة ذكروا فيها جوانبها الفقهية المختلفة، وبينوا الأحكام المتعلقة بها، وتوسعوا في ذلك توسعا كبيرا لا مجال هنا للحديث عنه، حتى لا يطول البحث كثيرا ويخرج عن مساره الذي رسم له، من أراد مزيد بيان في الطهارة وأحكامها فليراجع كتب الفقهاء ففيه ما يشفي صدره ويسد نهمه.

---

[108] أبو داوود، سنن أبي داوود ج 1 ص 149

[109] النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي سنن النسائي بأحكام الألباني ج 1 ص 154

المبحث الرابع: هجر الرجز: تعريفه وأهميته وثوابه

وصية مهمة من الوصايا االقرآنية في هذه السورة هي هجرة كل ما يعبد من دون الله، فالمسلم الحق لابد أن يتخلى عن كل ما يخالف عقيدته الإسلامية، فلا يقبل مع الله شريك، ولا يتلفظ بأي كلمة قد يكون من آثارها خروجه من الملة، بل ولا يعتقد بقلبه بغير الله، وجهته التي لا يمكن أن يحيد عنها هي مرضاة الله، في صلاته وفي نسكه وفي محياه وفي مماته وفي شأنه كله. ويناقش الباحث هنا المقصود بهجر الرجز ويبين أهميته وثوابه عند الله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ المدثر: 5، كل ما في القرآن من الرجز فهو العذاب وأما "والرجز فاهجر" بالضم، فالمراد الصنم.[110]

قال معمر: قال الزهري "الرجز" الأوثان.[111] الرِجْزُ: القَذَرُ، مثل الرِجْسِ. وقرئ قوله تعالى: "والرِجْزَ فاهْجُرْ" بالكسر والضم. قال مجاهدٌ: هو الصنم. وأمَّا قوله تعالى: "رِجْزاً من السماء" فهو العذاب. والرَجَزُ بالتحريك: ضربٌ من الشعر. وقد رَجَزَ الراجز وارْتَجَزَ. والرَجَزُ أيضاً: داءٌ يصيب الإبلَ في أعجازها فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ساعةً ثم تَنْبَسِطانِ، يقال:بعيرٌ أَرْجَزُ، وقد رَجِزَ، وناقةٌ رَجْزاءُ. قال الشاعر:

هَمَمْتَ بخيرٍ ثم قَصَّرْتَ دونه... كما ناءت الرَجْزاءُ شُدَّ عقالُها

---

[110] الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين. كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ج 1ص 831

[111] الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تفسير عبد الرزاق الصنعاني ج 3 ص361

ومنه سمِّي الرَجَزُ من الشعر، لتقارب أجزائه وقلَّة حروفه. والرِجازَةُ:- مركَبٌ أصغر من الهودج. ويقال هو كساءٌ يجعل فيه أحجارٌ يعلَّق بأحد جانبي الهودج إذا مال.[112]

يقول ابن الجوزي "ذكر بعض المفسرين أن الرجز في القرآن على ثلاثة [113] أوجه:-

أحدها العذاب:- ومنه قوله تعالى حكاية عن الكافرين: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الأعراف: ١٣٤

الثاني: بمعنى الصنم ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ المدثر: ٥

الثالث: معنى الكيد ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ الأنفال: ١١

أي كيده قال ابن قتيبة: "وسمي كيد الشيطان رجزا، لأنه سبب العذاب. وكذلك سمي الأصنام رجزا، لأنها تؤدي إلى العذاب.

وحكم هجر الرجز واجب بالكتاب والسنة وقد ترتب على ذلك الهجر أجر عظيم ومن النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

---

[112] الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة ج 1 ص243

[113] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : ص 135

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ الزمر: ٣ وقال أيضا: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ الزمر: ١١ – ١٦

وكل هذه الآيات وغيرها جاءت للتنفير عن الزرجر والأمر بهجر الرجر كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ النحل: ٣٦

وفي الحديث "عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سنان بن أبى سنان الدؤلي ثم الجندعي عن أبي واقد الليثي: إنهم خرجوا عن مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨

انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة }[114].

ويبدو للباحث من خلال الآثار السابقة أن الشريعة الإسلامية وجهت المسلمين إلى اجتناب عبادة غير الله، ليبتعدوا بأنفسهم عن العذاب الذي يلحق بكل من أشرك مع الله غيره بالعبادة.

فضل هجر الرجز وثوابه:-

لقد جاءت نصوص متضافرة في فضل هجر الرجز وثوابه، ومنها آيات البشارة للمؤمنين يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ١٧ – ١٨

ومن الأحاديث في ذلك:-

"عَنْ عَامِرٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:- لاَ رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ فَذَكَرْتُهُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ:- حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:- عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ قِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ قِيلَ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ فَقَالَ هُمُ الَّذِينَ لاَ

[114] أحمد بن حنبل، المسند بتعليق شعيب الأرنؤوط ج 5 ص 218

يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَالَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ أَمِنْهُمْ أَنَا يا رَسُولَ اللهِ قَالَ نَعَمْ فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ أَمِنْهُمْ أَنَا قَالَ سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ. " [115]

ومن ذلك:- ما جاء عن عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ فَقَالَ يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ قَالَ فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَخْرِجُوهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ(مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ)[116]

وعن ابن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ثلاثٌ مَن لم يكنّ فيه فإن الله عزّ وجل يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء، من مات ولم يشرك بالله شيئا، ولم يك ساحرا يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه[117] فالبعد عن الرجز ضمان للعبد من المشاكل في الدنيا قبل الآخرة، وقد ضرب من الأمثلة القرآنية الرائعة ما يكفي العاقل من العبرة والاتعاظ يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الملك: ٢٢

[115] البخاري، الجامع الصحيح، ج 6 ص 163
[116] مسلم بن حجاج : صحيح مسلم ج 3 ص 53
[117] الكسي، عبد بن حميد بن نصر الكسي أبو محمد المنتخب من مسند عبد بن حميد ج 1 ص 229

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾

الأنعام: ١٢٥

ومن الأحاديث المبشرة:- عن أبي مالك عن أبيه قال:- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله"[118].

[118] مسلم بن حجاج : صحيح مسلم ج 1 ص 39

المبحث الخامس: المن المنهي عنه تعريفه وخطورته وعواقبه

أمرت الشريعة الإسلامية المسلمين أن يجودوا بأموالهم إلى من كانت عنده حاجة، بل وتوعدت كل من يمنع الزكاة المفروضة ونفت الإيمان عمن يبيت شبعان وجاره جائع وهو يعلم، وفي المقابل بشرت المنفقين بكثير من البشارات ومنحتهم فضائل عديدة. والذي ينفق من ماله ينبغي أن يفعل ذلك مبتغيا فيه وجه الله ورضاه، ولا يبتغي فيه ذكر أو محمدة من الآخرين، ولذلك كان النهي عن أن يعطي الغني ماله للفقير ويمتن عليه بذلك، وكلما رآه ذكره بفقره وبما قدم له من مال. وفي هذا المبحث يبين الباحث المن المنهي عنه ويجلي خطورته ويحذر من عواقبه.

وهناك آيات قرآنية كثيرة جاءت في بيان تحريم المن والتحذير عن عواقبه ومن تلكم الآيات قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٦٢ – ٢٦٤

يقول ابن كثير في تفسر الآية "يمدح تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منا على من أعطوه، فلا يمنون على أحد، ولا يمنون به لا بقول ولا فعل.

وقوله{ وَلا أَذًى }أي:-لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يحبطون به ما سلف من الإحسان.

ثم وعدهم تعالى الجزاء الجزيل على ذلك، فقال:{ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم}أي: ثوابهم على الله، لا على أحد سواه {وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم}أي:- فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة {وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}أي: [على] ما خلفوه من الأولاد وما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها، لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك.ثم قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ}أي:- من كلمة طيبة ودعاء لمسلم {وَمَغْفِرَةٌ}أي:- غفر عن ظلم قولي أو فعلي {خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى}قال ابن أبي حاتم:- حدثنا أبي، حدثنا ابن نفيل قال: قرأت على معقل بن عبيد الله، عن عمرو بن دينار قال:- بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من صدقة أحب إلى الله من قول معروف، ألم تسمع قوله {قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى} {وَاللَّهُ غَنِيٌّ} أي: عن خلقه."[119]

وجاء في تفسير المزي "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى تفسير الحسن قال كان بعض المؤمنين يقول فعلت كذا وأنفقت كذا فقال الله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيصير مثلكم فيما يحبطه الله من أعمالكم كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر وهو المنافق فمثله كمثل صفوان عليه تراب قال قتادة الصفوان الحجر فأصابه وابل مطر شديد فتركه صلدا أي نقيا لا يقدرون على شيء مما كسبوا هذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار يوم القيامة يقول لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ كما ترك المطر الوابل هذا الحجر ليس عليه شيء آية ومثل

[119] تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 693

الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم قال الحسن يعني احتسابا فمثلهم في نفقتهم كمثل جنة بربوة يعني مكانا مرتفعا من الأرض أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين أي مرتين فإن لم يصبها وابل فطل الطل أضعف من المطر"[120]

وقال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

الحجرات: ١٤ – ١٥

قال ابن كثير "يقول تعالى منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد، وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"[121]

وسبب نزول الآية كما ورد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاءت بنوا أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب، ولم نقاتلك، فقال

[120] أبو عبد الله بن أبي زمنين المري : تفسير المري، ج 2 ص 72
[121] ابن كثير : تفسير ابن كثير ج 7 ص 388

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن فقههم قليل وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم" ونزلت هذه الآية يمنون عليك أن أسلموا... الخ "[122]

ومن الآيات التي نهت عن المنّ قوله تعالى: "ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر" يقول العلامة القرطبي "فيه أحد عشر تأويلا:- الأول لا تمنن على ربك بما تتحمله من أثقال النبوة، كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير.الثاني: لا تعطي عطية تلتمس بها أفضل منها قال الضحاك:- وقد حرّمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق وأباحه لأمته. الثالث: عن مجاهد أي لا تضعف أن تستكثر من الخير، الرابع: لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله عليك... السابع قال القرطبي لا تعطي مالك مصانعة ومنه لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك عليها"[123].

ويتبين من هذه الأقوال بأن المنّ منهي عنه أيا كان شكله، لحديث عبد الله بن عمروا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة منّان ولا عاق ولا مدمن خمر" قال الألباني صحيح [124]

ولقد أمر الله بإخلاص النية في الأعمال يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥

[122] المرجع السابق: ج 7 ص 390
[123] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن الفرح : الجامع لأحكام القرآن ج 19 ص 68
[124] النسائي، أحمد بن شعيب : السنن ج 8 ص 318

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ، فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ، وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ الإنسان: ٩ – ١٢

وفي الحديث عن عبد الله بن يسار الأعرج أنه سمع سالما يحدّث عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ثلاثٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاق والديه، ومدمن الخمر ومنّان بما أعطى"[125]

وفي حديث عبد الله بن زيد بن عاصم بيان شامل لمضمون المن المنهي عنه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفيه تعليم للناس حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكّرهم بما أنعم الله به عليهم من إرساله نبيا مرسلا وبشيرا هاديا وسراجا منيرا. وهذا نصه"

"عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: "يا معشر الأنصار الم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي؟ كلما قال شيئا قالوا:- الله ورسوله أمنّ قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كلما قال شيئا قالوا:- الله ورسوله أمنّ، قال:- لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا أترضوا أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرؤ

[125] الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله أبو عبد الله : المستدرك على الصحيحين : ج 4 ص163

من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[126]

وفي رواية مسلم "قالت الأنصار قد فتح الله عليه وأعطى قومه ونحن نخشى أن نقيم عندهم فلبغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اجتمعوا ولا يكن فيكم من غيركم فاجتمعوا فقالك قد بلغني ما قلتم، أما إنكم إن شئتم قلتم ألم تأتنا طريدا فآويناك وخائفا فأمناك أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير والبكر وتذهبون أنتم برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم، الأنصار شعار والناس دثار ولول الهجرة لكنت امرء من الأنصار لو سلك الناس واديا وشعبة لسلكت وادي الأنصار وشعبهم إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[127]

[126] البخاري، الجامع الصحيح : كتاب بدء الوحي ج 5 ص 200
[127] الأصبهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد : المسند المستخرج على صحيح مسلم ج 3 ص 125

الفصل الثالث: العلاقة بين الوصايا القرآنية من سورتي المزمل والمدثر:

المبحث الأول: العلاقة الدعوية التشريعية

أسست الشريعة الإسلامية لموضوع الدعوة إلى الله من كل جوانبه، وجعلت له أصولاً يسير وفقها، وقد كتب بعض المعاصرين في أصول الفقه الدعوي، فالفقه الإسلامي زاخر بوسائل الدعوة وأساليبها، وبيان المواصفات التي ينبغي أن تتوفر في الداعية. فالداعية هو باب مفتوح يلج من خلاله الناس إلى الدعوة، فكان عليه أن يتصف بالمواصفات التي تؤهله لهذه المهمة العظيمة التي ناءت الجبال بحملها.

ففي هذا المبحث سوف يتناول الباحث قضية العلاقة الدعوية التشريعية ومن جملتها قضايا المنهج ووسائل الدعوة وأساليبها وبعض مواصفات الداعية الناجح، مع ربطها بالنصوص الشرعية:

فالعلاقة الدعوية التشريعية بين سورتي المزمل والمدثر تتمثل في الآتي:-

الرقم		الكلمة	سورة المزمل		سورة المدثر
1		**الصبر**	**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**		**وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**
2		**الذكر**	**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**		**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**
3		**الهجر**	**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**		**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**
4		**القيام**	**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**		**قُمْ فَأَنْذِرْ**

وهذه وجوه التناسب والاتفاق في الآيات بين سورتي المزمل والمدثر في العلاقة الدعوية التشريعية.

- ومن ذلك: كون كل سورة مكية.
- وعدد آيات المزمل: عشرون آية.
- وأما المدثر فست وخمسون آية.

الموضوعات التي انفردت به كل سورة:-

تنفرد سورة المزمل عن المدثر بالموضوعات الآتية:-

- قراءة القرآن وترتيله.
- قيام الليل والتهجد.
- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وإخباره بأنه سيلقى عليه قولا ثقيلا.

وتنفرد سورة المدثر عن المزمل بذكر:-

- الأمر بالإنذار.
- تطهير الثياب.
- النهي عن المن.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ المزمل: ١ - ١٠

فالآيات السابقة تحدث عن بعض صفات الداعية المتمثلة في أعمال الطاعات منها قيام الليل والذكر وتلاوة القرآن الكريم. ومن هذه الصفات قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ الإسراء: ٧٩

المبحث الثاني: العلاقة الموضوعية:

فإن موضوع السور المكية تتشابه مع بعضها البعض لأنها تتكلم عن العقيدة وترسيخها في الأذهان وتطهير العقول عن الشرك بالله عز وجل، وهذه هي الظاهرة في جميع السور والآيات المكية.

صفات الداعية:-

وعلى الداعية أن يتحلى بصفات حميدة وخصال إسلامية طيبة، من الإيمان الصادق والإخلاص والأمانة، والصبر والصدق، والحكمة والكرم والشجاعة. والرفق والتواضع وغيرها من حميد الصفات وكريم الخصال. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم: ٤

فالخلق الكريم من أعظم خصال الداعية يقول الله تعالى في تقرير هذه الحقيقة الروحية الإيمانية: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩

ولا بد وأن يكون الداعية رحيما وحريصا على المدعوين يدعوهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة وينهاهم عن ما يضرهم في دينهم ودنياهم.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٢٨

وعلى الداعية أن يعفو عمن جهل عليه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ويعمل كذلك مخلصا لله عز وجل وفي صالح الدعوة الإسلامية. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ، وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ الأعراف: ١٩٩ – ٢٠٢

وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن إبراهيم بن أدهم قال:- لما أنزل الله {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن آخذ العفو من أخلاق الناس.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وَابن جَرِير، وَابن المنذر، وَابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشعبي قال: لما أنزل الله {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل

قال:- لا أدري حتى أسأل العالم، فذهب ثم رجع فقال:- إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك."[128]

يقول ابن كثير: "وقد أخذ بعض الحكماء هذا المعنى، فسبكه في بيتين فيهما جناس فقال:-

خُذ العفو وأمر بعُرفٍ كَمَا... أُمِرتَ وأعْرض عن الجَاهلينْ...

وَلِنْ في الكَلام لكُلِّ الأنام... فَمُسْتَحْسَن من ذَوِي الجاه لين...

وقال بعض العلماء: الناس رجلان:- فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده، كما قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} المؤمنون: 96, [129].

وكل هذه المعاني السامية من الأخلاق الإسلامية الحميدة والصفات المجيدة التي هي من زاد الداعية قبل قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي قول الله تعالى "وأمر بالعرف" يعني " أن يأمر الداعية:-

بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرِّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر اللّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه."[130]

---

[128] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج 6 ص 708

[129] تفسير القرآن العظيم، ج 3 ص 532

[130] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ج 1 ص 313

وكل هذا له علاقة شرعية بالداعية من حيث أنه هو المبلغ عن الله والقائم بوظيفة الأنبياء والمرسلين من النذارة والبشارة "قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر" وعلى الداعية أن يكون نظيفا حسيا ومعنويا بحيث لا يتعاطى المحرمات ولا يقترف ما يدنس عرضه أو ينفر الناس عما يدعوهم إليه من أمور الدين. وعليه لا بد أن يصدع بالحق وألا يخاف في الله لومة لائم، وأن يكون قانعا ويرضى بما قسم الله له من رزق، ويقطع أطماعه عما في أيدي الخلائق.

يقول الله تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الحجر: ٨٨

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنينّ يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن مِنْ ورائهم عذابًا غليظًا (وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على ما مُتعوا به فعجّل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مَدَّ فلانٌ عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده."[131]

[131] ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن : ج 17 ص 141

الخلاصة:

مما سبق يمكن أن يخلص الباحث أن الداعية إلى الله هو القائم على دين الله، المبلغ للدعوة، وحيث أنه يقوم بهذه المهمة الشريفة عزيمة القدر؛ كان عليه أن يتصف بصفات تليق بهذا الأمر العظيم الذي يحمله، فلا يستقيم أن يكون داعية إلى الله ثم يكون كذابًا، إذ كيف يقبل الناس دعوتهم من كذاب، ولقد وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل الدعوة بأنه الصادق الأمين، لذلك لما سئلوا عن أخلاقه قالوا: والله ما عهدنا عليه كذبًا قبل هذا، فهكذا ينبغي أن يكون حامل هذه الدعوة العظيمة.

المبحث الثالث: العلاقة المنهجية

تظهر العلاقة المنهجية بين الوصايا القرآنية في الخطابات الدعوية؛ بوضوح لكل متأمل في أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، حسب تطور الدعوة ومراحلها عبر التاريخ، ابتداءً بالعهد المكي الذي ركّز فيه النبي صلى الله عليه وسلم على ترسيخ العقيدة الإسلامية الخالية من شوائب الشرك والإلحاد، فبدأ بالترغيب والترهيب، يقول الله تعالى: "والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فإذا نُقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير."

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مفتاح النفس الإنسانية فهي مجبولة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٤٨ – ٥٢

وقد تم النصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق التيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير لا إكراه في الدين يقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٦ – ٢٥٧

يقول الله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ غافر: ٤٠

ومن أنفع الأساليب الإعراض عن الجاهلين من باب: (ادفع بالتي هي أحسن).

يقول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٤ – ٩٩

وهذا من أنفع الأساليب في التعامل مع أعداء الدعوة المعاصرين ومن هنا تبرز أهمية هذه العلاقة بين المنهج ووسائل تطبيقه على المدعوين عموما، وعلى المستكبرين والمشركين على وجه الخصوص.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ طه: ١٢٣ – ١٢٧

وفي الحديث "عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَا النَّجَاءَ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ "[132]

[132] البخاري، الجامع الصحيح ج 20 ص 126 برقم 2001 باب في الإنتهاء عن المعاصي، ومسلم في باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته أنظر : صحيح مسلم ج 11 ص 396 برقم 4233

الفصل الرابع: نماذج من آثار العلاقة على الدعوة

المبحث الأول: العهد المكي

لقد مرت الدعوة الإسلامية بمراحل مختلفة وذلك ابتداءً من طور التأسيس إلى مرحلة التطور ثم مرحلة النضج والانتشار، فالقرآن المكي له خصائص ترتكز على مبادئ منها التأكيد على العقيدة والدعوة إلى توحيد الله تعالى بإخلاص العبودية لله عزوجل، بهذا أرسل الله تعالى نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى محمدا صلى الله عليه وسلم، بخاتمة الرسائل، وآخر الدعوات، وأنزل معه الكتاب الكريم ليكون للعالمين نذيرًا، وهاديًا ودليلًا، وسراجًا منيرًا. وأمر الله تبارك وتعالى الناس بالتمسك بكتابه الكريم وحفظه، والعناية به، وعدم التفريط به، أو التهاون فيه.[133]قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الزخرف: ٤٣ من ميادين الدعوة إقامة الدين وإظهاره ونشره، فالعهد المكي بدأ بإقامة الدين وتأسيس الدعوة إلى التوحيد وقد شهدنا آثار هذا المبدأ العظيم في الأجيال التي عاصرت النبي صلى الله عليه وسلم والقرون التالية لها وما زال هذا المبدأ الكريم يؤثر في نشر الدعوة في العالم إلى يومنا هذا، وهذه جملة من الآيات القرآنية في ترسيخ هذه القواعد الربانية يقول الله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم

[133] انظر: عبد الرحيم محمد المغذوي، الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم ص 30، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني

مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ هود: ١١٢ - ١١٥:

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ الكهف: ٢٧ - ٢٩

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ التوبة: ٧٣ وقوله تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ الشورى: ١٥

يقول الله تعالى في أول سورة المزمل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾ المزمل: ١ – ١١

فهذه الآيات من سورة المزمل تشير إلى مرحلة تأسيس الدعوة أو بعبارة أدق مرحلة إقامة الدين قبل إظهاره ونشره ولا تخفى آثار هذه المرحلة على شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمتأمل لأول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك هذا التأثير تماما حيث يقول الله تعالى لرسوله الكريم ونبيه المصطفى المختار: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ العلق: ١ – ٥

فقد وجّه الله تعالى عناية رسوله الكريم إلى التعبد وقراءة القرآن الكريم كي يتدرب فيما بعد على فنون الدعوة إلى الله عز وجل، وقد أمره الله تعالى بالتمسك بدينه القويم وفي ذلك تسلية للأمة المحمدية بدوام التمسك به. وبتدبر الآيات السابقة يمكن الخلوص إلى الهدايات التالية:-

1- أهمية الاعتقاد الصحيح في دين الإسلام، وذلك يقتضي بأن تكون العقيدة الحقة بعيدة كل البعد عن الباطل والشرك والبدع.

2- أهمية التمسك بالقرآن الكريم، الذي هو وحي الله تعالى، ورسالته العظيمة، ودعوته الباقية للناس أجمعين.

3- أن التمسك بالقرآن العظيم يوصل بإذن الله تعالى إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.[134]

ومما يؤكد هذا المعنى ويقوي تأثير علاقة الدعوة في العهد المكي ما يلي:-

- الالتزام بمنهج القرآن الكريم وبالأسلوب النبوي الشريف.

إن قضية الالتزام بالمنهج مهمة جدًا في أي أمر من الأمور، بل وفي حياة الأمم والشعوب كلها.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ المائدة: ٤٨ ويتلخص من ذلك :-

- أهمية العمل بالقرآن الكريم وبتطبيقه في واقع المعاش فإن ذلك من أعظم الأدلة وأعمق التأثير وأوثق البراهين على صدق دعوى التمسك به. وذلك أن القرآن الكريم كامل الاستقامة من كل وجه، خال من العيوب، صافٍ من الكدورات، فاستحق بذلك التمسك والعمل والإيمان به.

---

[134] انظر: عبد الرحيم محمد المغذوي، الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم ص 30، المكتبة الشاملة

– وفي الآيات كذلك خطورة عدم التمسك بالقرآن الكريم، أو الميل عنه، وعدم الوثوق بعراه، وأن ذلك دلالة على الشقاء والعياذ بالله.[135]

ويقول تعالى آمرًا نبيّه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى ما أمره به وأنزله عليه وهو القرآن الكريم، وعدم اتباع الأهواء المضلة: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ الشورى: ١٥

وكل هذه وغيرها من العلاقات والتأثيرات إن دلّت على شيء أو أشارت إلى أمرٍ فإنها تدل إلى أهمية الاستعداد النفسي والفني في نشر الدعوة الإسلامية، وذلك في أي عصر من العصور، فالدعوة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وماضية على سننها المستفادة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا دليل على التوجيه الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته وأسلوب خطابه، وما ينبغي أن يتضمن هذا الخطاب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ الأنبياء: ٤٥ وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا

[135] انظر : عبد الرحيم محمد المغذوي، الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم ص 52، المكتبة الشاملة

نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٦٤

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ الأنعام: ١٩ وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ إبراهيم: ٣١

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ١ – ٦

فكل هذه الآيات الكريمات تسلسلت بقوله الله تعالى لنبيه الكريم "قل" لتدل على أنه لم يترك للرسول صلى الله عليه وسلم أمر الاجتهاد في توجيه دعوته، والانتقال بها من موقف إلى موقف، ومن مرحلة إلى مرحلة، وإنما كان كل ذلك بوحي من الله وتوجيه فيما يقول وما يفعل، وفي ذلك توجيه على الدعاة المقتدين بهدي النبي بل ويستمر التأثير على المدعوين أيضا، وعلى مستقبل الدعوة من الثبات على المبادئ. وأمّا الآثار المترتبة على العبادات فمنها؛ انشراحُ الصدر، وراحةُ البال، وسَعةُ الرزق، وسلامةُ الإنسان وارتياحُه واطمئنانُه.

وقد جاء في القرآن آياتٌ كثيرة، وفي السنة النبوية أحاديث عديدة، تدلّ على تلك الآثار، وعلى أنَّ تقوى الله عز وجل والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ المائدة: ٦٥ – ٦٦

قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ الأعراف: ٩٦

فإنَّ هذه الآيةَ الكريمة اشتملت على ذِكر العبادة، وعلى ذِكر الأثر المترتب عليها في حياة المسلم، وهي أنَّ من اتقى الله عز وجل وآمن به فإنَّ الله تعالى يُثيبُه ويعطيه في الحياة الدنيا من الرزق، ويفتح عليه من بركات السماء والأرض وذلك بإنزال الأمطار، وإخراج النبات والكنوز من الأرض.[136]

وقال عز وجل في أهل الكتاب: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} فإنَّ هذه الآية الكريمة، هي مثل تلك الآية السابقة {لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} يعني من الأرزاق التي يُنْزِلُها الله عز وجل إليهم من السماء بسبب المطر، وكذلك مِن تحت أرجلهم مِمَّا ينبته الله عز وجل في الأرض من النبات والزروع، وكذلك مِمَّا يخرجه الله عز وجل من

[136] عبد المحسن بن حمد عباد البدر: محاضرة ألقاها في جمعية أمريكية .

الكنوز، وما ذكره الله في هاتين الآيتين عن أهل القرى، وأهل الكتاب، هو من الثواب الدنيوي على الإيمان والتقوى، وأمّا الثواب الأخروي للمؤمنين المتقين فقد ذكره الله تعالى في قوله {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} وكل هذا من تأثير الدعوة الإسلامية في القرآن المكي بل والمدني معا, ومن السنة ما يلي:

– حدْيث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً رضي الله عنه عَلى الْيَمنِ قَالَ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلى قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوالِهِمْ وَتَرَدُّ عَلى فُقَرائِهِمْ فَإِذا أَطَاعُوا بِها فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرائِم أَمْوالِ النَّاسِ "[137]

– وفي رواية البخاري جاء بلفظ "حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلي الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ من أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[138]

[137] محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان : ج 1 ص 5

[138] الجامع الصحيح : ج 5 ص 298 رقم الحديث 1365

- وفي رواية مسلم "حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ بِسْطَامَ الْعَيْشِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا رَوْحٌ وَهُوَ ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ "[139]

ففي العهد المكي كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالتحلي بالصبر في تحمل مشاق الدعوة ونشر الدين ويأمرهم بالتلطف واللين في سبيل نشر العقيدة،

- وفي الحديث عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"[140]

[139] صحيح مسلم : ج 1 ص 112 رقم الحديث 28 باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام
[140] البخاري، الجامع الصحيح ج 1 1ص 444 برقم 3343

المبحث الثاني: العهد المدني

فالعهد المدني يمتاز بمزايا منها:

- تقرير الأحكام الشرعية منها التعبدية كالصلاة والزكاة والصيام وبيان المعاملات من نكاح وتجارة وغير ذلك من ميادين الخطاب القرآن المدني؛ ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ البقرة: 43.

- الدعوة إلى التوحيد وما يشمله من أمور العقيدة، فسورة النساء افتتحت بقول الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ** ﴾ النساء: ١ – ٣

- تفصيل الأحكام الشرعية المتعلقة بالأحوال الشخصية وتعاملات الناس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾ النساء: 11 .

يقول الله تعالى لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ الشورى: ٥٢- ٥٣

يقول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في شرح آية النساء "افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك.

وبيَّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه {أن رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم {مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله... من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتموه بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه."[141]

يتوجه منهج الخطاب الدعوي في العهد المدني إلى التخلق بالأخلاق الكريمة والآداب السامية، ومن ذلك أدب المجالس يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ المجادلة: ٨

[141] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ح 1 ص : 163

ذكر العلامة الطبري قول عائشة رضي الله عنها، أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم وفعل، فقال النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم:- يا عائشة إنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحش، فقلت: يا رسول الله، ألست ترى ما يقولون؟ فقال: "ألست ترينني أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: عليكم" وهذه الآية في ذلك نزلت: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المجادلة: ٨

وجاء هذا التوجيه النبوي في صحيح البخاري "حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ الْيَهُودُ يُسَلِّمُونَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ السَّامُ عَلَيْكَ فَفَطِنَتْ عَائِشَةُ إِلَى قَوْلِهِمْ فَقَالَتْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقَالَتْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُونَ قَالَ أَوَلَمْ تَسْمَعِي أَنِّي أَرُدُّ ذَلِكِ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ وَعَلَيْكُمْ"[142]

وفي رواية لمسلم "عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ بَلْ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ قَالَتْ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ"[143]

[142] الجامع الصحيح، ج 20 ص3 رقم الحديث 5916
[143] صحيح مسلم، ج 11 ص 132 رقم الحديث 4027

ومن ذلك الخطاب الدعوي لإصلاح المعاملة بين الناس وتقويمها، يقول الله تعالى في النهي عن الغش والخداع في البيوع وفي تحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل" يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الأنعام: ١٥٢

وقال جل شأنه في النهي عن منكرات الأفعال والأقوال والأمر بالمعروف وجميل الصفات والفعال: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ الإسراء: ٢٢ – ٣٠

وقد ذكرت الآيات أحكاما أخرى تتعلق بحياة الناس الاجتماعية كما نهى الله عن الغيبة والنميمة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات: ١٢

جاء في الحديث: عن جابر رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- (رحم الله عبدا سمحا إذا باع سمحا إذا اشترى سمحا إذا قضى سمحا إذا اقتضى)[144].

ومن الملاحظ أن آثار العلاقة على الدعوة في العهد المدني تختلف عن التي في العهد المكي، ففي العهد المكي تختصر الدعوة على الأصول وبعض الفروع.

فالدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة هي السمة البارزة في تلك الفترة من تاريخ الدعوة، وأما العهد المدني فقد اتسعت فيه بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال الناس، وذلك تبعا لاتساع رقعة الإسلام وانتشاره في الأمصار، وهذه من حكمة الله تبارك وتعالى وسنته الإلهية في التدرج في الأحكام رعايةً للبشرية ورفقا بالأمة المحمدية ورحمة للعالمين.

ومن الطبيعي أن يتغير المنهج كل حسب مقتضيات عصره كما يتنوع الخطاب الدعوي رعاية للحكمة في وضع كل شيء في محله بحيث لا يتعداه ولا يقصر عنه.

[144] الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، ج 7 ص 240 برقم 1934

ولعل من أبرز النماذج في هذا الخطاب ما ذكره العلامة ابن كثير: "يقول تعالى ناهيًا عباده عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً}أي: ذنبًا عظيمًا {وَسَاءَ سَبِيلا} أي: وبئس طريقًا ومسلكًا.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا جرير، حدثنا سليم بن عامر، عن أبي أمامة قال: إن فتى شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ فقال: "ادنه" فدنا منه قريبًا فقال اجلس"فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" قال: "أفتحبه لابنتك"؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم"، قال: "أتحبه لأختك"؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم" قال: "أفتحبه لعمتك"؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك"؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء"[145]

الخلاصة

ومما سبق يمكن للباحث أن يخلص إلى أن العهد المدني قد اتسم بسمات تختلف عن العهد المكي، وقد تمثلت هذ السمات بما يلي:

[145] تفسيير القرآن العظيم، ج 5 ص 72

1. تقرير الأحكام الشرعية التعبدية منها، والمتعلقة بمعاملات الناس وشئون حياتهم.

2. الدعوة إلى التوحيد وما يشمله من أمور العقيدة.

3. التركيز على الجانب الأخلاقي وتوجيه المسلمين للتخلق بالأخلاق الكريمة والآداب السامية.

4. العمل على إصلاح المعاملة بين الناس وتقويمها لينشأ مجتمع قوي عصي على الانكسار.

5. تسليط الضوء على الجوانب الاجتماعة المتعلقة بحياة الناس كالغيبة والنميمة وغيرها.

المبحث الثالث: من أعداء الدعوة في عهد القرآن المكي والمدني:

ولما نزلت سورة المدثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بالدعوة إلى الله تعالى، وحيث أن العرب في تلك الآونة قوم أجلاف لا دين لهم صحيح إلا عبادة الأصنام, ولا يملكون الحجة على ذلك إلا أنهم وجدوا آباءَهم كذلك يفعلون، قابلوا الدعوة الإسلامية بالعداوة والبغضاء، وشهروا السيف في وجهها وعادوا النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه أيما العداوة.

وتنقسم حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوية بعد أن شرفه الله تعالي بالنبوة والرسالة إلى عهدين وهما: العهد المكي ومدتها ثلاث عشرة سنة، ثم العهد المدني ومدتها عشر سنوات، وكلها مليئة بالجهود الدعوية ومكابدة الصعاب. و كانت سنة الله تعالى في عباده أن جعل لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن، قال تعالي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١١٢

وكل من العهد الدعوي المكي والمدني مر بثلاث مراحل, المرحلة الأولى هي مرحلة الدعوة السرية ومكث النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثلاث سنوات، يدعو الناس إلى دين الله تبارك وتعالى سرا لقوة العدو وضعف المسلمين وقلتهم. ثم المرحلة الثانية وهي مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة، من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ولا يزال المسلمون مضطهدون فيها حتى

هاجروا إلى الحبشة مرتين. والمرحلة الأخيرة هي مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم، من أواخر السنة العاشرة من النبوة. وقد شملت العهد المدني وامتدت إلى آخر حياته صلى الله عليه وسلم.[146]

وكان من أساليب أعداء الدعوة البغض والصد لها عن طريق الاضطهاد والتعذيب لإحباط الدعوة بعد ظهورها, والمشركون هم أعداء الدعوة بصفة عامة والذين ذاقوا المسلمين الويلات خاصة منهم أبو جهل, وكان إذا سمع برجل أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال، والجاه، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به.

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه منعته الطعام والشراب، وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشًا، فتَخَشَّفَ جلده تخشف الحية، وكان صهيب بن سنان الرومي يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول. كان بلال مولى أمية بن خلف الجمحي، فأمية بن خلف يضع في عنقه حبلًا، ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول: أحَدٌ أحَدٌ، وكان أمية يشده شدًا ثم يضربه بالعصا، و يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع. وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد...[147]. وكان

---

146 انظر صفي الرحمن المباركفوري الرحيق المختوم صـ 48- 49 بتصرف.

147 ابن اسحاق، السيرة ج 4 ص172

آل ياسر تحت وطأة العذاب فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون فقال: (صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة)[148]، فمات ياسر في العذاب، وطعن أبو جهل سمية أم عمار في قبلها بحربة فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وهي سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت عجوزًا كبيرة ضعيفة. وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبغطسه في الماء حتى كان يفقد وعيه. وقالوا له: لا نتركك حتى تسب محمدًا، أو تقول في اللات والعزى خيرًا، فوافقهم على ذلك مكرهًا، وجاء باكيًا معتذرًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النحل: ١٠٦

وكان أبو فُكَيْهَةَ واسمة أفلح مولى لبني عبد الدار، وكان من الأزد. فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في الرمضاء، ثم يضعون على ظهره صخرة حتى لا يتحرك،... فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه لله. وكان خباب بن الأرت مولى لأم أنمار بنت سِباع الخزاعية، وكان حدادًا، فلما أسلم عذبته مولاته بالنار، كانت تأتى بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره أو رأسه، ليكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلم يكن يزيده ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، وكان المشركون أيضًا يعذبونه فيلوون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه على النار، ثم سحبوه

[148] المرجع السابق ج 4 ص172

عليها، فما أطفأها إلا وَدَكَ ظهره.[149] وكانت زِنِّيرَةُ أَمَةً رومية قد أسلمت فعذبت في الله، وأصيبت في بصرها حتى عميت، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى، فقالت: لا والله ما أصابتني، وهذا من الله، وإن شاء كشفه، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد.

وأسلمت أم عُبَيْس، جارية لبني زهرة، فكان يعذبها المشركون، وبخاصة مولاها الأسود بن عبد يغوث، وكان من أشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المستهزئين به. وأسلمت جارية عمر بن مؤمل من بني عدى، فكان عمر بن الخطاب يعذبها وهو يومئذ على الشرك فكان يضربها حتى يفتر، ثم يدعها ويقول: والله ما أدعك إلا سآمة، فتقول: كذلك يفعل بك ربك. وممن أسلمن وعذبن من الجوارى: النهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار.[150] وفي المدينة كان أعداء الدعوة المنافقين منهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول, والجد بن قيس وكان من شأن شأن الجد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم: يا جد، هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:- قد أذنت لك. ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية الكريمة .....

[149] انظر، ابن هشام، السيرة ج 4 ص 172 و عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهليلي الروض الأنيق ج 2ص 83

[150] الرحيق المختوم صـ 65.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ التوبة: ٤٩

أي: إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ويقول وإن جهنم لمن ورائه.[151] وهكذا يخبرنا التاريخ عن شأن أعداء الدعوة في القديم ليكون عبرة للدعاة في العصر الحاضر في التعامل مع الأعداء المعاصرين، يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الأحزاب: ٢١ – ٢٥ [152]

[151] الروض الأنف عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (291/4)

الفصل الخامس: أهمية العلاقة بين الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثر وربطها بالعصر الحاضر:

المبحث الأول: أهمية العلاقة بين الدعاة المعاصرين

لقد مر بيان علاقة الوصايا القرآنية في العهد المكي والمدني وظهر في العهد المكي أسلوب التركيز على الأهم والاهتمام بالقضايا الجوهرية الأساسية قبل الحديث عن الأمور الفرعية، فأهم ما ارتكزت عليه الخطابات الدعوية في تلك الفترة هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وحده لا شريك له وتجريد الإخلاص له في الطاعة، ومن ثَمّ جاء أسلوب التيسير لا التعسير، وأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترغيب والترهيب.

ومن الأمثلة على ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه:-

"حدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ

وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ "قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غُفِرَ لَهُ.[153]

يقول الشارح "فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم على رغم أنف أبى ذر أي على ذل منه لوقوعه مخالفا لما يريد وقيل معناه على كراهة منه وإنما قاله له صلى الله عليه و سلم ذلك لاستبعاده العفو عن الزانى السارق المنتهك للحرمة واستعظامه ذلك وتصور أبى ذر بصورة الكاره الممانع وإن لم يكن ممانعا وكان ذلك من أبى ذر لشدة نفرته من معصية الله تعالى وأهلها والله أعلم وأما قوله فى رواية بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من مات يشرك بالله شيئا دخل النار وقلت أنا ومن مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة هكذا وقع في أصولنا من صحيح مسلم وكذا هو في صحيح البخارى وكذا ذكره القاضي عياض رحمه الله في روايته لصحيح مسلم"[154].

وأهمية العلاقة بين الدعاة واضحة وفي إثبات توحيد الربوبية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٢

[153] متفق عليه ، صحيح البخاري ج 18 ص 147 رقم 5379 و مسلم بن حجاج، صحيح مسلم ج 1 ص 255 رقم الحديث 138

[154] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج2 ص 96

وفي إثبات توحيد الأسماء والصفات قال تعالي: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ، هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الحشر: ٢٢ – ٢٤

وفي إثبات المعاد قال تعالي: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

الزمر: ٦٠ – ٦١

لقد عقد الإمام مسلم باب جامع أوصاف الإسلام ثم ساق الحديث في جواب النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله رجل قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه غيرك، قال: "قل آمنت بالله ثم استقم". يقول الشارح "قال القاضي عياض رحمه الله هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وهو مطابق لقوله تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" أي وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توفوا على ذلك وعلى ما ذكرناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم.

والمعنى فاستقم كما أمرت بما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه و سلم لأصحابه حين قالوا قد أسرع إليك الشيب فقال شيبتني هود وأخواتها"[155]

وعند التأمل في قول الله تعالى في سورة المزمل: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ، وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ المزمل:٨ – ١٠

وقوله جل شأله في المدثر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ قُمۡ فَأَنذِرۡ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ المدثر: ١ – ٧

تظهر العلاقة في التركيز على معنى التوحيد أولا كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عند ما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن.

"عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْيَمَنِ قَالَ إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"[156].

[155] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج 2 ص 9
[156] البخاري، صحيح البخاري، ج 5 ص 298 برقم 1365

وعلى الدعاة المعاصرين أن يفهموا سنة التدرج والفقه الأولويات في عملية الدعوة والإرشاد كي تؤتي الدعوة ثمارها بإذن الله.

وقال الدكتور عمر عبد الكافي "أرى أن الخطاب الإسلامي المعاصر أكثر وعياً من العقود الثلاثة الماضية، فأصبح الدعاة الربانيون لديهم إدراك تام لحقيقة الوضع العالمي والإقليمي. والدعاة في الأمة على نوعين: داعية عامل، و"عامل" داعية، وبين التقسيمين يندرج جميع الدعاة الموجودين على الساحة. فحمل هم الدين ليس عند الكثرة الكثيرة من الدعاة، وإنما عند الدعاة الذين غُرست محبة الدعوة إلى الله في قلوبهم وارتبطت بهم الجماهير المسلمة. أما الذين يتاجرون بالدعوة ويسترزقون من ورائها.. هؤلاء بضاعتهم مردودة إليهم ولن تدوم طويلاً، لأنهم فقدوا الصدق والإخلاص في دعوتهم."[157]

[157] - الموقع الرسمي للدكتور عمر عبدالكافي مدير مركز الدراسات القرآنية بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وعضو هيئة الحكماء بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عضو المجمع الفقهي بالهند،

المبحث الثاني: أهمية العلاقة بين المدعوين في العصر الحاضر

الحديث عن الداعي يشمل المدعوين على اختلاف أنواعهم وتباين صفاتهم، ولا بد للداعية أن يعقل هذا الأمر جيدا، فسيرة النبي صلى الله عليه وسلم تعلمنا كيف عالج مشاكل المدعوين كل حسب حالته وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فالقرآن الكريم رسم للدعاة خطة العمل مع ضرب الأمثلة الحية بالواقع المشاهد يقول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣

ومن الأمور المهمة في علاقة الوصايا القرآنية ربط الموعظة بالواقع مع اغتنام الفرص في الاستفادة من الوقائع والحوادث الحية:- فعندما يحدث حادث أو تنزل نازلة أو يمر بها الداعي، فعليه أن يغتنم ذلك فيقرب ما يريد أن يوصله إلى المخاطبين والمدعوين عن طريق ذلك.[158]

"عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه:- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ.ثُمَّ قَالَ:- "أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ:- أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: واللهِ لَوْ كَانَ

[158] فؤاد يوسف أبو سعيد، إمام وخطيب مسجد زعفران بال، الخطاب الدعوي أهدافه ووسائله أساليبه وميادينه ج 1 ص12 بواسطة المكتبة الشاملة

حَيًّا، كَانَ عَيْباً فِيهِ، لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَمَيِّتٌ؟ فَقَالَ: فَواللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ"[159]

يقول النووي رحمه الله:- الأسك صغير الأذنين. ولابد للداعية أن يزيل كل شبهات المدعوين ويفيدهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة مبتغيا في ذلك رضى الله عز وجل ومبتعدا عن حب الظهور أو الشهرة فيخلص عمله لله عز وجل، وهذه أهم وظائف الداعي إلى الله، إذا أراد لدعوته النجاح والفلاح، أن يقيم الحجج ويزيل الشبه. وهذه طريقة القرآن الكريم وأسلوبه وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة. فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يجلس في مسجده، يسمع من أصحابه ويسمعون منه. وكذلك أحيانا يمر بأسواق القوم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيستفيد من وعظه الكبير والصغير والذكر والأنثى والسيد والمسود، والتاجر والعامل والبائع والمشتري.

وفي العصر الحاضر قد ينكر بعض القوم على الدعاة أن يمشوا في الأسواق، للدعوة أو لأمورهم الدنيوية، لاعتقادهم أن الدعوة مختصرة في المساجد والندوات أو الدورات التدريبية أو في خطب المنابر فحسب، ونسوا بأن الدعوة برنامج كامل يشمل حياة الفرد والمجتمع وعلاقة الدول في السلم والحرب وفي العسر واليسر. قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ الفرقان: ٢٠

[159] رواه مسلم في كتاب الرقائق ج 18 ص 93

ومن أهمية العلاقة على المدعوين إصلاح أحوالهم وتهذيب أخلاقهم وتنمية أفكارهم نحو الخير والرشاد وإبعادهم عن الزيغ والضلال، وهذا هو عين الدعوة ومن ثمرة ذلك إقبال الناس على الطاعة وتمسكهم بالمأمورات وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي "[160]

وفي العصر الحاضر يستفيد الداعي من وسائل الإعلام الحديثة بأنواعها المختلفة في إبلاغ دعوته إلى شرائح الناس على اختلاف مشاربهم وتباين طبائعهم، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالترغيب والترهيب والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥

وعلى الداعي أن يعلم المدعوين سماحة الإسلام وفضله مع إشاعة روح التعاون بين أفراد المجتمع والتناصح والتسامح وفق قوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ حَنِيفٗا ﴾ النحل: ١٢٦

[160] صحيح مسلم، ج 1 ص 267 برقم 147 باب قول انبي صلى الله عليه وسلم " من غشنا "

المبحث الثالث: أهمية العلاقة بين أعداء الدعوة في العصر الحاضر:

لقد سبق في المباحث المتقدمة البيان عن أهمية العلاقة بين الدعاة المعاصرين والمدعوين على اختلاف أشكالهم وتباين أصنافهم في العصر الحاضر. فهذا المبحث يشرح أهمية تلك العلاقة على صنفين من أصناف المدعوين المذكورين في سورة البقرة.

ومما لا يدع مجالا للشك أنه من الأهمية بمكان أن يعرف الداعية سبل التعامل مع أولئك الأصناف من أعداء الدعوة وذلك من أجل نجاح النشاط الدعوي وسلامته من العوائق، إذ لا يخلو مجتمع من المجتمعات الإنسانية من أعداء الدعوة الإسلامية.

فالوقائع التاريخية خير شاهد على هذا الصراع الدائر بين الحق والباطل كما أن الشيطان وجنوده لا يألون جهداً في صد الناس عن الدين وتنفيرهم عن الحق المبين. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن من أعداء الدعوة في كل زمان ومكان شياطين الإنس والجن يقول الله تعالى في محكم التنـزيل:-

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام: ١١٢ وقال عز من قائل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ الفرقان: ٣١

وقال أيضا: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى

ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ الحج: ٥٢ - ٥٤

الشيطان هو العدو الأول للدعوة في كل عصر ومصر:-

فالشيطان هو العدو اللدود للدعوة في كل مكان وزمان وقد نبّهنا الله تعالى على خطورة هذا العدو المبين حيث بين السبل الوقائية ضد مكائد الشيطان. يقول الله عز وجل في توضيح علاج العدو الباطني للدعوة"﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ البقرة: ٢٠٨

وقد ذكّرنا الله تعالى بعداوة هذا الشيطان لأبينا آدم عليه السلام فقال جل جلاله: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ، فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ طه: ١١٧ - ١٢٢

وفي آية الأعراف يقول تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ٢٠ – ٢٢

ولذا أمر الله المؤمنين أن يكثروا من الاستعاذة من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الأعراف: ٢٠٠

هذا وقد أخذ الشيطان العهد على نفسه لإغواء الدعاة والمدعوين واستثنى منهم المخلَصين فمن هذا المنطلق تبدو مسؤولية الدعاة المخلصين واضحة في محاربة الشيطان ووسوسته بإخلاص النية يقول الحق تبارك وتعالى عن عهد الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ص: ٨٢ – ٨٥ ومن أتباع الشيطان الكفار والمنافقون.

عداوة الكفار والمنافقين للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر

والجدير بالذكر أنه لا تخفى عداوة الكفار والمنافقين للإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي طغت فيه الحياة المادية على الأفراد والمجتمعات، وهذه العداوة تظهر في بعض الأنظمة السياسية والعولمة الاجتماعية التي تسعى إلى إقصاء الإسلام والمسلمين عن الساحة العالمية بالتهم الملفقة تارة والدعايات الكاذبة، تحت شعارات متنوعة باسم الحرية أو الديمقراطية وحقوق الإنسان تارة أخرى.

وكذلك تظهر تلك العداوة حتى في المناهج التعليمية والبرامج الإذاعية المسموعة منها والمرئية ويخصصون لها خبراء دوليين وترعاها حكومات ومنظمات عالمية. فالسنة النبوية الشريفة بينت سبل التعامل مع المنافقين، قد صلى نبي الله عليه الصلاة والسلام على رأس المنافقين عبد الله بن أبي، واستغفر له إلى أن نهي عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: ٨٤.

فما السر في عنايته صلى الله عليه وسلم بهذا الرجل وهو من أكبر أعداء الدعوة في عهدها المدني؟ يشير ابن حجر إلى السر في ذلك بقوله: "قال الخطابي: إنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن أبي ما فعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطيب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم"[161]

[161] إبراهيم بن عبد الله المطلق التدرج في دعوة النبي الطبعة: الأولى: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية ج2 ص 117، 1417هـ

وعليه لا بد للدعاة من التنوع في أساليب الدعوة والاستفادة من الوسائل الحديثة في إيصال الدعوة إلى المدعوين مع استغلال الفرص المتاحة، ومن أهم أساليب دعوة الكفار إلى الحق؛الحكمة والموعظة الحسنة مع التركيز على جانب العقيدة وإثباتها وتغيير الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين ببيان حقيقة معالم هذا الدين الحنيف، وذلك عن طريق الخصال الحميدة كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت: ٣٣ – ٣٦

وهكذا نرى أن الدعوة قد سلكت الأسلوب السلمي في أغلب مراحل انتشارها ولم تلجأ إلى أسلوب القتال إلا بعد فشل أساليب السلم، ولكن أعداء الدعوة على اختلافهم أخذوا يشنعون على الدعوة قتالها للمسلمين، لأن مبادئها تقوم على تكفير المسلمين كما زعموا[162]. لاسيما في هذا العصر عصر الحرب على الإرهاب أو الحرب على الإسلام.

---

[162] انظر، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثر ها في العال الإسلامي ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ج 1 ص 110، 1422هـ

وقال الدكتور عمر عبد الكافي "العداء أو الصدام بين الأجهزة الأمنية والرسمية في الدول الإسلامية وبين الدعاة أمر مرفوض ويجب ألا يحدث لأننا جميعاً في سفينة واحدة، ومن الواجب على الجهات الحكومية أو الرسمية أن تستوعب وتحتضن الدعاة المخلصين وهم كثيرون في الدول الإسلامية باستخدام دعوتهم الوسطية لإيجاد بعد أمني واجتماعي في هذه الدول وللمحافظة على أمنها واستقرارها. ومعاداة الدعاة الذين ارتبطت بهم الجماهير وتأثروا بهم ليس من المصلحة في شيء، لأن هذه التصرفات تجعل جماهير المسلمين تسخط على الأنظمة الرسمية التي تحارب الدعاة، لأنهم يرون أنهم بهذا التضييق يحاربون دين الله تعالى، لذلك أدعو بهدوء كل القوى الحاكمة في العالم العربي والإسلامي إلى احتضان الدعاة، وأن تفتح أمامهم آفاق الدعوة وألا تضيق عليهم وأن يستثمروا دورهم وتأثيرهم على الجماهير لتحقيق مصلحة أمن البلاد والوطن، فالدعاة ورجال الأمن هم أداة بناء وتقدم[163].

وأما المنافقون فيمكن مجاهدتهم بالدلائل والحجج والبراهين التي تزيل عنهم شبهاتهم وأهواءَهم وفضح أسرارهم. يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ التحريم: ٩

وهذه المجاهدة تكون بأساليب متنوعة عن طريق نشر التعاليم الصحيحة للإسلام والدعوة بأسلوب التدرج كما مر في تعامل النبي صلى الله عليه مع بعض المنافقين. ومن ذلك؛تأليف الكتب الدينية وتوجيه

163 ـ الموقع الرسمي للدكتور عمر عبدالكافي مدير مركز الدراسات القرآنية بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وعضو هيئة الحكماء بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عضو المجمع الفقهي بالهند،

البرامج التعليمية والإذاعية المسموعة والمرئية ودعم المشاريع والجمعيات الخيرية والمؤسسات والهيئات الإغاثية الإسلامية، والدعوة إلى التكاتف والتعاون بين الدول الإسلامية على المستوى الاقتصادي والتعليمي والأمني والسياسي لحيلولة دون التدخلات الخارجية.

وهذا ما يحدث بالفعل في بعض الدول الإسلامية والعربية كالصومال، والسودان، ونيجيريا، وفلسطين، والعراق، واليمن، وسوريا، ومصر، وأخيرا ما حصل بجماهيرية الليبية. كما أن هناك أسبابًا خارجية كثيرة أدت بالفعل إلى تراجع الهم الدعوي عند كثيرين كالضغوط الأمنية، وفشل بعض مواجهات مع أعداء الدعوة لإسلامية واختلافات الدعاة. إلا أن تلك الأسباب ما كان ينبغي أن تؤدي لتراجع هم الداعية، أو أن تكون عذرًا مقبولاً وإلا لَعذرْنا جميعَ المؤمنين على مر التاريخ في ترك الدعوة لعدم خلو زمن من تلك المنغصات وأكثر منها، بل لولا الضعف الداخلي والأسباب الداخلية الخاصة بنفس العبد ما كان لتلك الأسباب الخارجية أن تؤثر فيه فتُقْعدَه عن القيام بواجبه.[164]

إن الدعوة الإسلامية المعاصرة تفتقر إلى كثير من القدرات والمؤهلات والبناء الداخلي المؤسس، مما يؤدي إلى ثغرات وعوامل ضعف فيها في المرحلة الراهنة، وتلك القدرات هي أهم ما تفتقر إليه القيادات الدعوية الرشيدة التي تملك قدرة التأثير وزمام المبادرة في القيادة والإصلاح والتربية. ومما يؤخذ على الجماعات الإسلامية المعاصرة عندما تخوض المعترك السياسي أو المعترك العسكري أنها تضعف أو

---

164 أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عقدة، إلى حامل الدعوة، بتصرف دار الصفوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ج 1ص 20

تشل قدرتها في التربية والإصلاح، وتتناقص عضويتها الصفوية، وتتحول إلى تيارات شعبية عامة، مما ينحرف بمسارها، وتتحول أهدافها وتفقد هويتها.[165]

فالإخوة الذين يتبعون أعداء الدعوة من حيث يشعرون أو لايشعرون سيكونون فريسة سهلة فيما بعدُ لهم، فإنهم قد أعانوا الأعداء على إخوانهم، وهل سيتركهم الأعداء؟ لن يتركوهم كما هو ملموس في الواقع[166]

[165] إعانة الربان للمقالات الدعوية في مجلة البيان ج 1 ص 223
[166] انظر، إعانة الربان في للمقالات الدعوية ج1 ص 16 بدون تاريخ

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل لكل بداية منتهى والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وقدوة الدعاة المحتسبين نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

فإلى هنا وصل البحث عن الدعوة وعلاقتها بمعالم الوصايا القرآنية في أوائل سورتي المزمل والمدثر إلى النهاية، وذلك ابتداء من تعريف القرآن الكريم الذي هوكتاب الله المجيد الذي أرسل إلى خاتم النبيين وإمام المرسلين ليكون نورا وهدًى للناس ورحمة للعالمين،

ومرورا إلى تعريف الدعوة كما أفاد الشيخ صالح بن حميد بأنها: "يمكن بالنظر والتأمل في تعريف الدعوة بأنها قيام المسلم ذي الأهلية في العلم والدين بتبصير الناس بأمور دينهم وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع على قدر الطاقة ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل.[167]

ثم تحدث عن فوائد الدعوة وأهميتها وحكمها وحكمتها ومن فوائدها:-

المعنى الأول: إما أن يقال إنها مفتاح للجنة على الحقيقة.

المعنى الثاني: وإما أن يقال إنها مفتاح لكل خير يتوصل به إلى الجنة.

وكذلك تحدث البحث عن العبادات التي تقرب العبد إلى ربه كقيام الليل وقراءة القرآن ومن الفوائد الأخلاقية الصبر في سبيل الدعوة مع الإخلاص وفوائد الذكر وثمرته وبيان وسائل الدعوة ومنهجها المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

---

[167] محمود عبد الحميد العسقلاني، الدعوة السلفية ص 1

كما تناول مجالات الدعوة ونموذجا من تاريخ تطور الدعوة الإسلامية من العهد المكي الذي ركز على التوحيد وبيان العقيدة ثم العهد المدني الذي جاءت فيه التشريعات وبيان الأحوال الشخصية.

كما تطرق البحث إلى ذكر أهمية العلاقة على الدعاة المعاصرين وأنها تساعدهم على مجابهة صعوبات الطريق وتخطي جميع العقبات والصدود في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل. وأهمية العلاقة على المدعوين من أجل ترسيخ المبادئ وتثبيت الأفئدة على الحق المبين والصراط المستقيم، وفقا لقول الله عز وجل: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)[168]

وكذلك عرج البحث عن أهمية العلاقة على أعداء الدعوة وذلك ليتدرب الداعية ويتفقه على الأساليب المتنوعة في التعامل مع أعداء الدعوة على اختلاف أشكالهم وتنوع عنادهم.

والجدير بالذكر أنه لا تخفى عداوة الكفار والمنافقين للإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي طغت فيه الحياة المادية على الأفراد والمجتمعات، وهذه العداوة تظهر في بعض الأنظمة السياسية والعولمة الاجتماعية التي تسعى إلى إقصاء الإسلام والمسلمين عن الساحة العالمية بالتهم الملفقة تارة والدعايات الكاذبة، تحت شعارات متنوعة باسم الحرية أو الديمقراطية وحقوق الإنسان تارة أخرى. وكذلك تظهر تلك العداوة

[168] سورة الشورى : الآية 52-53

حتى في المناهج التعليمية والبرامج الإذاعية المسموعة منها والمرعية ويخصصون لها خبراء دوليين وترعاها حكومات ومنظمات عالمية.

نتائج البحث ما يلي:-

- ✓ إن اختلاف الأزمنة والأمكنة لم ينفِ أن التدرج في الدعوة أمر لا بد منه وكذلك الرفق بالمدعوين لعموم الأدلة، وهو تحقيق لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم الصالح لإنجاح وتحقيق أهداف الدعوة رغم اختلاف الزمان والمكان والعصور.

- ✓ هنالك علاقة واضحة بين أساليب الدعوة ومناهج الدعاة ومدى استجابة المدعوين، وهذا يؤكد وجوب استخدام الوسائل الحديثة والتطورات المستجدة والتقنية في صالح الدعوة إذ أن لكل عصر من عصور الدعوة وسائل تناسبه، وأن الدعوة إلى الله فرض على كل مسلم حسب الاستطاعة، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...الخ.

- ✓ الدعوة الإسلامية برنامج كامل يشمل جميع مناحي الحياة، لأن الإسلام عقيدة وعبادات ومعاملات، لقوله تعالى: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين." على أن التركيز على العقيدة سيبقى من أولويات الدعوة لقوله تعالى: «والرجز فاهجر»

- ✓ التعرف على مخططات أعداء الدعوة المعاصرين والتصدي لها بالوسائل المشروعة مع الاستفادة من التقنية الحديثة في صالح الدعوة.

- ✓ الإكثار من العبادة وذكر الله مع الإخلاص يؤثر في نجاح الداعية، وكذلك فالاهتمام بنظافة الظاهر وطهارة الباطن من أهم متطلبات تحقيق الداعية لأهدافه في تبلغ الدعوة للمدعوين.

ثمة مقومات أساسية يجب على الداعية الالتزام بها من التحلي بالأخلاق الحميدة وهجر الأخلاق الذميمة ومن ذلك لزوم اتخاذ السبل الوقائية ضد مكائد الشيطان لأنه هو العدو الباطني للدعوة "لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين).

توصيات:-

- يوصي البحث بتعميم أمر الدعوة الإسلامية وتنشئة الأجيال حسب المنهج الرباني، وكذلك حسن العناية بشأنها، وأن من واجب الدعاة مراعاة أحوال المدعوين والتطلف بهم تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم.
- وعلى الحكومات والمؤسسات الإسلامية والعلمية أن يعتنو بأمر الدعوة عن طريق ترسيخ المفاهيم الصحيحة في المناهج الدعوية وتطبيق التعاليم الإسلامية والمناهج التربوية في العمل المدرسي ويتم ذلك في جميع المراحل التعلمية.
- ويوصي البحث أيضا الباحثين وطلبة العلم بتكثيف العناية في كتابة البحوث الجامعية وعقد الندوات والمؤتمرات للإشادة بشأن التربية والدعوة على كافة المستويات.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني شيخ الإسلام. 1386 هـ الفتاوى الكبرى، تحقيق حسن محمد مخلوف, الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت.

---------- 1422هـ2001م. جامع الرسائل رسالة شعيب، تحقيق د. محمد رشاد سالم, الطبعة الأولى، دار العطاء الرياض.

----------1426 هـ2005 مجموعة الفتاوى, الطبعة الثالثة, دار الوفاء بالمنصورة.

---------- 1416هـ/1995م مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.

ابن كثير إسماعيل عماد الدين، 1426هـ 2005م قصص الأنبياء، دار ابن الجوزي: القاهرة.

---------1977 البداية والنهاية, الطبعةالثانية بيروت, ممكتبة المعارف.

------- 1420هـ-1999م تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة, الطبعة: الثانية دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن عاشرو محمد الطاهر بن محمد بن محمد،1420هـ 2000م التحرير والتنوير، الطبعة:الأولى مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.

ابن حنبل أحمد أبو عبد الله الشيباني،1421 هـ - 2001 م. مسندالإمام أحمد بن حنبل، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. الطبعة: الأولى، القاهرة: مؤسسة الرسالة.

ابن القيم الجوزية، 1399هـ زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤط وعبدالقادر الأرناؤوط، الطبعة: الأولى الكويت. مكتبة المنار مؤسسة الرسالة.

أحمد البستي الأموي أبو علي،1990م تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، بتحقيق محمد رضوان الداية. الطبعة: العاشرة بيروت: دار الفكر المعاصر.

أحمد بن علي بن حجرأبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، بيروت .دار المعرفة.

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبوبكرالبيهقي،1414هـ – 1994م سنن البيهقي الكبرى، بتحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز. مكة المكرمة.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني،1406هـ – 1986م السنن دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ.

أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،المجتبى من السنن. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب.

أبو نعيم، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهراني. الأصبهاني. 1417 هـ – 1996 م المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين. 1423هـ 2002م معجم مقاييس اللغة، بتحقيق عبد السلام محمد هارون. اتحاد الكتاب العربي.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، 310هـ 224م, جامع البيان في تأويل القرآن، مكتب التحيقيق. بدار هجر

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المصرية1384هـ 1964م. الجامع لأحكام القرآن = تفسيرالقرطبي ط /2، دار الكتب.

أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابورى،1422هـ, الكشف والبيان عن تفسير القرآن دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي،1424 هـ - 2003م. تفسيرمقاتل بن سلميان، تحقيق أحمد فريد. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية لبنان بيروت.

أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عقدة إلى حامل الدعوة دار الصفوة للطباعة، بدون التاريخ.

أبو منصور محمد ابن أحمد الأزهري، 2001م, تهذيب اللغة، الطبعة الأولي دار إحياء التراث العربي بيروت.

أبو الربيع سليمان ابن موسى الكلاعي الأندلسي, 1417 هـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء, الطبعة الأولى, دار النشر عالم الكتب.
إبراهيم بن عبد الله المطلق، 1417هـ. التدرج في دعوة النبي، الطبعة الأولى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبرهيم. 1407 هـ – 1987م الجامع الصحيح، الطبعة الأولى. دار الشعب القاهرة.
سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي, 1423 هـ 2003م, فى ظلال القرآن, الطبعة الثانية والثلاثون, دار الشروق.
سعيد بن علي بن وهف القحطاني،1423هـ الحكمة في الدعوة إلى الله، الطبعة الأولى. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية.
صبحى الصالح, مباحث فى علوم القرآن, الطبعة 24, دار العلم للملا يين.
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،2003م 1432هـ الدر المنثور في التفسير بالماثور. تحقيق مركز هجر للبحوث، دار الهجر مصر.
عبد المحسن بن محمد القاسم، إمام وخطيب 1427 هـ. تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول.الطبعة الأولى.
عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع،1424هـ/2003م الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله.الطبعة: الأولى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
على ابن برهان الدين الحلبي, 1400 هـ السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون, دار المعرفة ببيروت.
عبد الرحمن ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج نزهة الأعين النواظر في معرفة الوجوه والنواظر، دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الطبعة الثانية، دار الرسالة.
علي بن نايف الشحود، المفصل في أحكام الهجرة بدون تاريخ.
----------الحضارة الإسلامية بواسطة المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.
عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي،1420هـ -2000 م تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الطبعة :الأولى، مؤسسة الرسالة.

عبد الملك ابن هشام ابن أيوب الحميري المعافري, 1411 هـ السيرة النبوية, تحقيق طه عبد الرؤوف سعد, دار الجيل ببيروت.
عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي،1416هـ - 1996م البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الطبعة: الأولى، عن دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
القونوي قاسم بن عبدالله بن أمير علي ،1406هـ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، الطبعة الأولي، دار الوفاء جدة.
محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي،1416هـ. التسهيل لعلوم التنزيل تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، الطبعة: الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت.
محمد عبد الرؤوف المناوى, 1410 هـ التوقيف على مهمات التعاريف, الطبعة الأولى, دار الفكر بيروت.
محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي،- 1426 هـ -2005 م قوت القلوب في معاملة المحبوب في وصف طريق مقام إلى مقام التوحيد تحقيق :د.عاصم إبراهيم الكيالي, الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
متعب بن مسعود الجعيد، مفتاح الوصول شرح ثلاثة الأصول بدون التاريخ.
محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،1411 هـ – 1990م المستدرك على صحيح البخاري، الطبعةالأولى، دار الكتب العلمية بيروت.
محمود الألولسي أبو الثناء شهاب الدين, 1327 هـ غرائب الإغتراب ونزهة الألباب فى الذهان والإقامة والإياب, مطبعة الشابندر
محمد فؤاد عبد الباقي، 1982م المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دار إياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ
محمد فؤاد عبد الباقى, 1407 هـ 1986م اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيحان, دار الحديث بالقاهرة.

محمد بن سليمان بن سلمان،1422هـ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية.
محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهج العرفان، دار الفكر بيروت – الطبعة الأولي، بدون تاريخ.
محمد ابن علي ابن محمد الشوكاني, 1419 هـ - 1999 م, إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول, الطبعة الأولى, دار الكتاب العربي.
محمد ابن محمد العمادى أبو السعود, إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم, دار إحياء التراث العربي بيروت. بدون تاريخ.
محمد ابن محمد الزبيدي، تاج العروس دار الهداية- بدون تاريخ.
مجد الدين أبو طاهر محمد ابن يعقوب ابن محمد إبراهيم ابن عمر الشيرازيالفيروز آبادي, 1426 هـ 2005م المحيط القاموس, الطبعة الثامنة, المؤسسة الرسالة ببيروت.
محمدالأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي،1415هـ - 1995 م
أضواءالبيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
ملا حويش آل غازى عبد القادر, 1382 هـ, بيان المعاني, مطبعة الترقي بدمشق,
نعيم أسعد الصفدي أستاذ مساعد في قسم الحديث الشريف كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، الصبر والثبات في مواجهة الحصار، بدون تاريخ.
وهبة الزحيلي،1418 هـ. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، دارالفكرالمعاصر دمشق.
---------- ------1422 هـ. التفسير الوسيط للزحيلي، الطبعة الأولى، دارالفكر دمشق.
يوسف عبد الله الحاطي، العناية بالقرآن في عهد النبوة عن طريق المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.
سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب،1404هـ/ 1984م التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أوليالي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الأولى، دارطيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الدكتور عمر عبدالكافي، مدير مركز الدراسات القرآنية بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، أمتنا تمرض..لكن لا تموت..والاسلام قادم، وعضو هيئة الحكماء بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، عضو المجمع الفقهي بالهند، الموقع الرسمي للدكتور عمر عبدالكافي.